مجلة شهرية

نـــور يسوع المسيح
Φ Ω Σ ابن الله XPIΣTOY

عدد: Issue No: 46
حزيران June 2011

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياةٌ ويكون لهم أفضل

أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة. (يو ٨: ١٢)

محتويات العدد

2	العمل الدؤوب
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	من أقوال الذهبيّ الفم عن المرأة السامريّة
5	عيد الخمسين للقديس يوحنا الذهبيّ الفم
8	حكمة الله
10	الملائكة والشياطين
12	مدخل إلى المزامير للقديس أثناسيوس الكبير
14	تفسير القدّاس الإلهيّ
15	رموز العذراء المنارة
16	في الأسرار الطاهرة للقديس يوحنا الدمشقي
19	القديسان الملكان قسطنطين وهيلانة
21	الكلمات الخالدة الأخلاق
22	شهر أبريل ـ إيبتانوميذة
23	العهد القديم . (٣٠)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخايل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

العمل الدؤوب

مملكة النحل لا تعرف الكلل ولا الملل، فهي الأنشط على وجه الأرض

كان راعي أغنام شيخ يعيش مع زوجته وإبنه في هناء وسعادة ، ثمّ هاجر الإبن إلى وطن آخر بعيداً عنه ، وظلّت الأنباء المشجّعة تَرِد إليه من الإبن تباعاً.

وكان الراعي الشيخ يقوم ببناء حظيرة جديدة للأغنام.

وأخيراً تلقّى أخباراً سيئة عن إبنه ، عرَف منها أنه حاد في أرض الغربة عن طريق الفضيلة ، وانساق إلى مسلك الشرّ والفساد ، وأخذ يتمرّغ في حمأة العار.

وكانت لهذه الأخبار المحزنة أثرها السيء في كسر قلب الراعي الشيخ ، وصار يعمل في بناء الحظيرة بأيدي كليلة وقلب خائر.

وانقضت السنون واختفى الراعي من مسرح الحياة ، وترك وراءه **بقايا هذا العمل الناقص** وتلك الحظيرة التي **لم يكتمل بنائها** ؛ كذكرى مؤلمة تتحدّث عن شخص بدأ عمله ولم يفرغ منه ، كسَر الحزن قلبه فارتخت يداه.

حقّاً

ففي أحيان كثيرة يكون الحزن داعياً إلى الوقوف في **بناء الحياة** فترتخي الأيدي الناشطة.

إنّ ضعف الإيمان وزعزعة العقيدة ، من البواعث المؤدّية بنا إلى ترك **بناء الحياة** ناقصاً ومهجوراً.

فقد تبعت الجماهير **يسوع** في بدء خدمته في أيام الإشراق والأمل ، ولكن عندما لاح في الأفق **ظل الصليب** أداروا ظهورهم وولوا هاربين.

وفي هذه الأيّام يحيد كثيرون عن الإيمان ، ويهجرون هيكل حياتهم **مُهَدّماً ناقصاً** ، يفعلون ذلك أمام إضطهادٍ ضئيل لا يُعتبر شيئاً أمام الإضطهادات الشنيعة التي جازها أباؤنا وأجدادنا.

إنّه لمن المؤلم حقّاً أن نرى من حولنا بعض إخوتنا ، هياكلهم الروحيّة ناقصَة البناء ، نرى بدايات حسنة لم تصل إلى خاتمتها المنتظرة ، نرى مقاصد حارّة نبيلة ، لم تلبث أن فسدت وبردت حرارتها.

فالحياة حافلة من هذه البدايات والمشروعات المهملة الناقصة ، بسبب فتور في العزم أو زعزعة في العقيدة أو ضعفٍ في الإيمان.

إنّ ملائكة اللّه تتطلّع من السماء فتقع أعينها على بريّة جرداء واسعة ، فيها كثير من **الأبنية الروحيّة الناقصة** ، والممكنات المهملة.

أليس في هذا عبرة لنا لكي لا نتثاقل تحت أي ضغط ، فلا أحداث تثبط همّتنا ، ولا أحزان أو ضيقات تستطيع أن تحوّل أنظارنا أو تشلّ أيدينا عن **بناء هيكل حياتنا** لئلا نُحزن قلب اللّه.

فلنضع في إعتبارنا دائماً أنّ:

«إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبني» (نح٢: ٢٠).

الإصرار على النجاح هو أوّل الخطوات نحو تحقيقه .

محتويات العدد

2	العمل الدؤوب
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	من أقوال الذهبيّ الفم عن المرأة السامريّة
5	عيد الخمسين للقديس يوحنا الذهبيّ الفم
8	حكمة الله
10	الملائكة والشياطين
12	مدخل إلى المزامير للقديس أثناسيوس الكبير
14	تفسير القدّاس الإلهيّ
15	رموز العذراء المنارة
16	في الأسرار الطاهرة للقديس يوحنا الدمشقي
19	القديسان الملكان قسطنطين وهيلانة
21	الكلمات الخالدة الأخلاق
22	شهر أبريل ـ إيبتانوميذة
23	العهد القديم . (٣٠)

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخايل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

العمل الدؤوب

مملكة النحل لا تعرف الكلل ولا الملل، فهي الأنشط على وجه الأرض

كان راعي أغنام شيخ يعيش مع زوجته وإبنه في هناء وسعادة ، ثمّ هاجر الإبن إلى وطن آخر بعيداً عنه ، وظلّت الأنباء المشجّعة تَرِد إليه من الإبن تباعاً.

وكان الراعي الشيخ يقوم ببناء حظيرة جديدة للأغنام.

وأخيراً تلقّى أخباراً سيئة عن إبنه ، عرَف منها أنه حاد في أرض الغربة عن طريق الفضيلة ، وانساق إلى مسلك الشرّ والفساد ، وأخذ يتمرّغ في حمأة العار.

وكانت لهذه الأخبار المحزنة أثرها السيء في كسر قلب الراعي الشيخ ، وصار يعمل في بناء الحظيرة بأيدي كليلة وقلب خائر.

وانقضت السنون واختفى الراعي من مسرح الحياة ، وترك وراءه **بقايا هذا العمل الناقص** وتلك الحظيرة التي **لم يكتمل بنائها** ؛ كذكرى مؤلمة تتحدّث عن شخص بدأ عمله ولم يفرغ منه ، كسَر الحزن قلبه فارتخت يداه.

حقّاً

ففي أحيان كثيرة يكون الحزن داعياً إلى الوقوف في **بناء الحياة** فترتخي الأيدي الناشطة.

إنّ ضعف الإيمان وزعزعة العقيدة ، من البواعث المؤدّية بنا إلى ترك **بناء الحياة** ناقصاً ومهجوراً.

فقد تبعت الجماهير **يسوع** في بدء خدمته في أيام الإشراق والأمل ، ولكن عندما لاح في الأفق **ظل الصليب** أداروا ظهورهم وولوا هاربين.

وفي هذه الأيّام يحيد كثيرون عن الإيمان ، ويهجرون هيكل حياتهم **مُهَدّماً ناقصاً** ، يفعلون ذلك أمام إضطهادٍ ضئيل لا يُعتبر شيئاً أمام الإضطهادات الشنيعة التي جازها أباؤنا وأجدادنا.

إنّه لمن المؤلم حقّاً أن نرى من حولنا بعض إخوتنا ، هياكلهم الروحيّة ناقصَة البناء ، نرى بدايات حسنة لم تصل إلى خاتمتها المنتظرة ، نرى مقاصد حارّة نبيلة ، لم تلبث أن فسدت وبردت حرارتها.

فالحياة حافلة من هذه البدايات والمشروعات المهملة الناقصة ، بسبب فتور في العزم أو زعزعة في العقيدة أو ضعفٍ في الإيمان.

إنّ ملائكة اللّه تتطلّع من السماء فتقع أعينها على بريّة جرداء واسعة ، فيها كثير من **الأبنية الروحيّة الناقصة** ، والممكنات المهملة.

أليس في هذا عبرة لنا لكي لا نتثاقل تحت أي ضغط ، فلا أحداث تثبط همّتنا ، ولا أحزان أو ضيقات تستطيع أن تحوّل أنظارنا أو تشلّ أيدينا عن **بناء هيكل حياتنا** لئلا نُحزن قلب اللّه.

فلنضع في إعتبارنا دائماً أنّ:

«إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبني» (نح٢: ٢٠).

الإصرار على النجاح هو أوّل الخطوات نحو تحقيقه .

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة الأحتفال بعيد القديسة فوتيني ٢٠١١/٥/٢٢

«إنّ السامريّة الشائعة الذكّر أتت مقبلة بأمانة إلى البئر ، فشاهَدتك يا ماء الحكمة التي لما سُقِيَتْ منك باتراعٍ ورثت الملكوت العلويّ أبديّاً» (قنداق العيد).

أيّها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع
أيّها الزوّار الحسني العبادة

إنّ معنى العيد في هذا اليوم الخاصّ بالمرأة السامريّة، وكما وُصِفَ بوضوح في إنجيل القديس يوحنا الإنجيلي: إذ يقول الرب يسوع المسيح للمرأة السامريّة: «ولكن مَن يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبديّة» (يو٤:١٤).

إنّ الذي سيشرب من الماء الذي أنا أعطيه لن يعطش إلى الأبد ، لكن هذا الماء الذي سوفَ أعطيه إيّاه سيتحوّل داخله إلى ينبوع ماء لا ينضُب، أنّما سيتَفَجّر ويَطْفَر جارياً باستمرار ، مخوّلاً إيّاهُ الحياة الأبديّة.

ما هو الماء الذي وَعَدَ به المسيح المرأة السامريّة ؟؟

إنّه ماء الحكمة ، أي (الحكمة الإلهيّة). الحكمة الإلهيّة هي تماماً المسيّا. **فالنبيّ أشعياء البوق الإلهيّ العظيم تنبّأ قائلاً:** «ويحلّ عليه روح الربّ ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوّة ، روح المعرفة ومخافة الربّ» (أش١١:٢). وحسب شهادة الرسول بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس يقول جهاراً : «ولكنّنا نحنُ نكرز بالمسيح مصلوباً ... فالمسيح قوّة اللّه وحكمة اللّه» (١كو١:٢٣-٢٤).

بالنسبة لقوّة اللّه وحكمة اللّه أيّها الأحباء بالربّ ، هي ليست إلاّ الروح القدس الذي ينبثق من الآب ويستقرّ مستريحاً بالإبن. هذا هو روح ابن اللّه الذي يُغدقه المسيح كماء إلى المرأة السامريّة ، ولكل نفسٍ عطشى ولكل المواسم الفصول ، كما يقول مرنّم الكنيسة:

«إنّ الكلمة المساوي للأله الآب في الأزليّة الصانع الكل والرازق الحياة قد إتّخذ جسداً من البتول وصارَ إنساناً باختياره وبما أنّه صالح أفاض للكل تعاليم الحكمة التي لا توصف. مَن كان عطشاناً فَليَفِد إلَيَّ ويشرب ، والذي يؤمن بي يجري من بطنه أنهار ماء حياة الروح الإلهيّ».

هذا الماء يصير للذي يشربه ينبوع ماء (يو٤:١٤) ، يختلف من الماء العادي الطبيعي من بئر يعقوب البطريرك ، بسبب قول ـ مفسّر كلمة الربّ ـ أعطى ماءً للسامريين عامة ، فالذين يرتشفونه سوفَ يعطشون ثانية. ولكن في المقابل الماء الروحيّ المتدفّق من المسيح ... «قادرٌ (للشارب منه) أن يصير ينبوع ماء لا ينضب، مُعطياً مياهً خَلاصيّة».

فعلاً أيّها الأخوة الأحباء : هبة المسيح لا تُقَدَّر بثمن، فعندما نقارن حكمة المسيح مع حكمة العالم وأموره ، يظهر لنا بأجلى بيان أنّ حكمة المسيح أصلاً تعلو علوّاً كبيراً ، فوق حكمة العالم ، إذ لا مجال للمقارنة بينهما إطلاقاً.

بكلام آخَر: المسيح أروَى وأراحَ روح النفس العطشى ، فلم يطرد العطاش للروح إنّما دَفعهم إلى حدّ الكمال، أي واَهباً روحه القدّوس ، الينبوع الداخلي الذي لا ينضب مروياً هؤلاء العطاش للروح بشكلٍ مستمر وتلقائيّ.

نرى ما يقوله **القديس أغناطيوس الحامل اللاهوت** بهذا الرباط في رسالته إلى رومية : « إنّ رغبتي الأرضيّة قد صُلِبَت ولَم يَتَبَقَّ فيَّ أي نار لأحبّ المادة ، لا يوجَد فيَّ غير "ماء حَيّ" يدمدم في أعماقي ويقول تعال إلى اللّه الآب ، لم يعد يروقني غذاء الفساد ولا تغريني ملذات الحياة ، إني أريد خبز اللّه الخبز السماوي ، خبز الحياة الذي هو بشر يسوع المسيح إبن اللّه الذي أتى في ملء الزمان من نسل داود وابراهيم ، إني أريد شرابي دمه الذي هو المحبّة غير الفاسدة والحياة الأبديّة».

هذه بالتدقيق محبّة المسيح التي أُنعمت على المرأة (المتحرّرة) في عصرها كما ذُكر ، أي المرأة السامريّة . ، والتي كانت تفتقر إليها ولم تجدها ـ من الرجال الخمسة ـ فهؤلاء الرجال لم يحقّقوا رغباتها. في المقابل ، فقد قَطَّرَ المسيح في قَلبها الحبّ الإلهيّ مقدّماً لها المحبّة غير الفاسدة.

وَجَدَت السامريّة في شخص المسيح ينبوع الحياة ، وجَدَت ينبوع المحبّة الحقيقة التي حسب الحكيم بولس «لا تطلب ما لنفسها ... ولا تظنّ السوء ... المحبّة لا تسقط أبداً» (١كو١٣:٥-٨).

حقّقت السامريّة محبّة غير فاسدة للمسيح من خلال موتها الإستشهادي ، هكذا أصبحت جسماً واحداً ودماً واحداً مع ربنا يسوع المسيح المصلوب والمُقام بقوة سلطانه .

أيّها الأخوة الأحباء

إنّ الشيء المميّز بلقاء المسيح مع السامريّة في هذا المكان المقدّس بئر يعقوب ؛ هو الحدَث بأنّ المسيح يكرز قائلاً : اللّه روح والساجدون له ينبغي لهم أن يسجدوا بالروح والحق ، كذلك يكشف أنّه المسيّا الآتي والمنتظَر.

القديسة الشهيدة العظيمة فوتيني التي نكرّمها اليوم أي المرأة السامريّة تدعونا وبنفس الوقت تَحُضّنا لكي نقتدي بها ، ليس فقط من خلال الإعتراف بالمسيح ، لكن بالطريقة الخاصّة والمميّزة التي أعلن المسيح فيها أنّه بالروح والحقّ يجب أن نسجد للّه، وهذا لأنّ الحقيقة بالمسيح هي ليست السيطرة على القوى الفكريّة للإنسان، لكن هو إستعلان اللّه لها.

هذا هو كلمة اللّه المتجسّد، هو بالحقيقة المسيح المصلوب والمُقام . هذا هو نور وحياة العالم.

المسيح قام حقّاً قام

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

من أقوال القديس يوحنّا الذهبيّ الفم عن لقاء السيّد المسيح بالمرأة السامريّة

✚ لم يمض من اليهوديّة إلى الجليل بلا هدف ، وإنّما لينجز أموراً هامّة مَعيّنة بين السامريين ... بحكمة خاصّة به ... مُظهراً أنّه قام بهذا العمل العَرضي أثناء الرحلة. وذلك كما فعل الرُسل أيضاً ، فعندما إضطهدهم اليهود ذهبوا في الحال إلى الأمم ، هكذا السيّد المسيح أيضاً عندما طرده اليهود إلتقَى بالسامريين وهكذا فعل مع المرأة الفينيقيّة. هذا كلّه حدَث حتى لا يكون **لليهود عذرٌ** ، ولا يمكنهم القول: «لقد تركَنَا وذهَبَ إلى أهل الغرلة» . لقد وجد التلاميذ لأنفسهم عذراً ، قائلين: «كان يجب أن تُكَلّموا أنتم أولاً بكلمة اللّه ، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنّكم غير مستحقين للحياة الأبديّة هوذا نتوجّه إلى الأمم» (أعمال ١٣:٤٦). عندما طردوه ، فتحوا باباً للأمم. لم يذهب إلى الأمم فوراً وإنما أثناء عبوره.

✚ لعلّك تسأل: لمَ دقّق البشير في وصف المكان ؟ حتى إذا سمعت المرأة قائلةَ: «ألعلّك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر ؟» لا تستغرب قولها. فإنّ هذا هو المكان الذي فيه غضب لاوي وشمعون بسبب دينا ، وصنعوا مذبحة عنيفة ... لم يستخدم السامريون كل الأسفار المقدّسة ، بل قبلوا كتابات موسى وحدها مع القليل من كتب الأنبياء. لكنهم كانوا مشتاقين إلى إقحام أنفسهم في السلالة اليهوديّة الشريفة ، فيعتزّون بإبراهيم ويدعونه أباهم ، إذ هم من الكلدانيين ، ودعوا يعقوب أباهم بكونه من نسله. أما اليهود فكانوا يمقتونهم بشدّة كسائر الأمم. لذلك وبّخوا المسيح بالقول: «أنت سامري وبك شيطان» (يو٨:٤٨).

✚ جاء المسيح إلى هذا الموضع متجنّباً الحياة الرَغدَة، سالكاً الطريق المتعب مجاهداً ، لأنّه لم يستعمل حميراً في هَذا السفَر ، لكنّه مشى بقدميه كثيراً جداً حتى تعب من سفَره. وهذا بالفعل يعلّمنا إيّاه في كلّ موضع ، أن نعمل مجاهدين لأجل إحتياجاتنا دون الكماليات ، فلهذا السبب قال: «للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (متى ٨:٢٠). ولأجل هذا الغرض كان يقيم أكثر أوقاته في الجبال والبراري ، ليس في النهار فقط، بل وفي الليل أيضاً. هذا أعلنه داود حين قال: «من الطريق يشرب من الوادي لذلك يرفع رأساً» (مز١٠٩:٧)، مظهراً بهذا **طريقة حياته المجاهدة**.

✚ ومن أيّة جهة ظنّت أنّه يهوديّ ؟ لعلها ظنّت ذلك من ملبسه ومن لهجة كلامه. تأمّل كيف كانت المرأة السامريّة مؤدّبة ، لأنّها لم تقل إنّ السامريين لا يختلطون باليهود ، لكنّها قالت لا «لأنّ اليهود لا يعاملون السامريين».

✚ أوضَحَ المسيح هنا أنّ المرأة مستحقّة أن تسمع ، وليست أهلاً للإعراض عنها ، وبعد ذلك كَشَفَ لها عن ذاته. فإنّها ما أن تعلّمت مَن هو، للحال إستمعت إليه وأصغَت، الأمر الذي لا يُقال عن اليهود ، لأنّهم إذ تعلّموا لم يسألوه شيئاً ، ولا رغبوا في الإنتفاع بأمرٍ ما منه ، بل شتموه وطردوه.

✚ أنظُر كيف أجابت المرأة المسيح بأوفر دعة قائلة: «يا سيّد لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحيّ ؟». لأنّها لم تدعه هنا سيّداً على بسيط ذات التسمية ، لكنّها كرّمته كثيراً. والبرهان على أنّها قالت هذه الأقوال مكرّمة إيّاه ، أنّها ولم تضحك عليه ، لكنّها تحيّرت بسرعة. وإن كانت لم تفهم في الحال كل ما يجب أن تفهمه عن المسيح فلا تتعجّب ، لأنّه ولا نيقوديموس فهم معنى كلام المسيح.

تأمّل ما قاله نيقوديموس: «كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعلّه يقدر أن يدخل بطن أمّه ثانية ويولد ؟» (يو٣: ٤)، أما هذه المرأة فكانت أوفر توقيراً من نيقوديموس ، إذ قالت: «يا سيّد لا دلو لك والبئر عميقة ، فمن أين لك الماء الحيّ ؟». كان يمكنها أن تقول قولاً على سبيل التهجّم: «لو كنت تمتلك هذا الماء الحيّ لَما طَلبتَ منّي ماءً ، بل تُعطيه لنفسكَ أولاً ، فأنت الآن إنما تفتخر بذلك» . إلاّ أنّها لم تنطق بلفظ من هَذه الألفاظ ، لكنّها أجابت بوداعة كثيرة في ابتداء الخطاب.

عيد الخمسين

عظة للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

مواهب الروح القدس

يا أحبائي كم هي عظيمة مواهب الروح التي أغدقها علينا اللّه محب البشر، تلك المواهب التي تفوق العقل الإنساني. لذلك لنفرح جميعاً ونبتهج مسبحين الرب. لأنه بالنسبة لنا، فإن هذا اليوم هو **يوم عيد واحتفال عظيم**. وكما تتتابع الفصول الواحد بعد الآخر، هكذا تأتي الإحتفالات في الكنيسة الواحد تلو الآخر، فنذهب من الواحد إلى الآخر.

منذ أيام قليلة احتفلنا بآلام المسيح وصليبه وقيامته، ثم بعد ذلك احتفلنا بصعود ربنا يسوع المسيح إلى السموات. اليوم وصلنا إلى قمة الخيرات، إلى تاج الأعياد، اليوم نتمتع بوعد الرب في الإنجيل: "لكني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يو١٦:٧).

أرأيتم كم هو عظيم هذا الإعتناء الأبوي؟
أرأيتم كم هي محبته التي لا توصف؟

قبل أيام قليلة صعد المسيح إلى السموات وجلس على العرش الملوكي، عن يمين الآب، واليوم يُرسل لنا مواهب الروح القدس. وبهذه الطريقة يهبنا الخيرات السماوية التي لا تُحصى. أَخبِرْني، هل يوجد أي خير من الخيرات التي تساهم في خلاصنا لم تُعطَ لنا بواسطة الروح القدس؟ إننا بنعمته نتخلّص من **عبودية الشيطان** وندخل إلى حريّة المسيح، وننقاد إلى نعمة التبني الإلهي، ونُولد ولادة ثانية، ونلقي عن كاهلنا ثقل خطايانا ونيرها الذي لا يُطاق. بنعمة الروح القدس صار كثيرون كهنة وآخرون معلمون في الكنيسة. كل التعاليم الغنيّة ومواهب الشفاء تنبع من هذا المصدر. نعم، كل النعَم الأخرى التي تزيّن كنيسة اللّه، تأتي من الروح القدس. لذا ينادي الرسول بولس قائلاً: "ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢:١١).

يقول "كما يشاء"، أي لا يأخذ أمراً من غيره بأن "يقسّم"، أو "لا يقسّم"، الروح له سلطان ولا يتسلط عليه أحد. لأن بولس الرسول يقول كيف إن الروح القدس له نفس السلطان الذي للآب: "ولكن اللّه واحد الذي يعمل الكل في الكل"، هكذا أيضاً يقول عن الروح القدس: "ولكن هذه كلّها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء"

أرأيت السُلّطة الكاملة التي للروح القدس؟ إذ أن الأقانيم الثلاثة التي لها نفس الطبيعة والجوهر هي أيضاً لها نفس السُلطة والمكانة والقدرة الواحدة.

إن قوّة الروح القدس تخلّصنا من الخطايا، بهذه القوة تغتسل نفوسنا من أي دنس. وبينما نحن بشر، صرنا بعطيّة الروح القدس ملائكة دون أن تتغيّر طبيعتنا. وهذا ما يستحق كل إعجاب، إن نعمة الروح القدس تعطينا أن نسلك سلوك الملائكة بينما طبيعتنا البشرية لا يعتريها أي تغيير. **كم هي عظيمة قوة الروح القدس!**.

مبارك انت ايها المسيح الهنا.
يا من اظهرت الصيادين غزيري الحكمة.
مرسلاً لهم الروح القدس وبهم اصطاد المسكونة.
فيا محب البشر المجد لك.

وكما أن الفخّار الليّن عندما يتعرّض للنار يصير قرميداً صلباً، هكذا بالضبط نار الروح القدس عندما تحل على النفس العاقلة تجعلها أقوى من الحديد حتى ولو كانت ليّنة وضعيفة، وأيضاً تصير أكثر نقاوة من الشمس. وقد أراد بولس الرسول أن يعلّمنا هذه الحقيقة قائلاً: "لا تضلوا. لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طامعون ولا سكيرون ولا شتّامون ولا خاطفون يرثون ملكوت اللّه" (١كو٦:٩-١٠).

وحيث إنّه أحصى كل **أنواع الشرور** وعلّمنا أن كل الذين يفعلونها يبتعدون تماماً عن ملكوت السموات، أضاف مباشرة قائلاً :

"وهكذا كان أُناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدّستم بل تبرّرتم بإسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (١كو٦:١١).

هل رأيت، يا عزيزي، قوة الروح القدس؟.

هل رأيت أن الروح القدس يُزيل كل هذه الشرور، وأن أولئك الذين كانوا سابقاً **مُستعبدين لخطاياهم** رفعهم إلى مكانة وكرامة سامية جداً؟.

ضد محاربي الروح

مَنْ يستطيع أن يبكي ويحزن حزناً يتناسب مع هول الكارثة، على هؤلاء الذين شرعوا في إهانة الروح القدس، هؤلاء الذين سقط عليهم هوس رهيب وأصيبوا بعدم التبصّر فبدلاً من تَذكّر إحسانات وخيرات الروح القدس تجرأوا على فعل كل ما يدمّر هذه الخيرات محاولين بقدر استطاعتهم رفض الروح القدس، منكرين مكانته وسلطته منزلين إياه إلى مستوى مخلوقات اللّه ؟

وأنا أريد أن أسألهم: لأي سبب أنتم تحاربون الروح القدس بهذا الهوس؟ أو بالأحرى: لماذا تحاربون خلاصكم ولا تريدون فهم أقوال الرب التي قالها للتلاميذ "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم بإسم الآب والإبن والروح القدس" (مت ٢٨:١٩).

أرأيت الكرامة الواحدة التي لأقانيم الثالوث القدوس؟!
أرأيت مدى التوافق الكامل فيما بينهم؟
ربما رأيت اختلافاً ما أو شيئاً غائباً فيما بينهم؟!!
لماذا تتجرأ على تزييف أقوال الرب؟

هل تجهل أنه في المسائل البشرية إذا شَرع شخص وتجرأ على إضافة شيئاً أو حذف شيئاً من أوامر ملك ما ـ الذي هو أيضاً مثلنا ـ يعاقبونه بأسوأ عقاب ولا أحد يستطيع أن يخلصه من العقاب؟

إذن طالما هناك أخطار كثيرة بالنسبة للمسائل البشرية، كيف يكون من الممكن أن يُغفر لأولئك الذين يُظهرون **البلادة** محاولين أن يُحرِّفوا أقوال مخلصنا ولا يريدون أن يسمعوا حتى لبولس الذي كان يتحدّث إليه المسيح بصوت واضح نقي في داخله : "ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه اللّه للذين يحبّونه" (١كو٢:٩).

إن كانت العين البشرية لا تستطيع أن ترى، ولا الأذن أن تسمع ولا الخاطر البشري أن يتخيّل كل الذي يعدّه اللّه لأولئك الذين يحبّونه ، كيف يكون في استطاعتنا (يا بولس الطوباوي) أن نعرفها ؟

لكن أقول: انتظر قليلاً وسوف تسمع الرسول بولس يعلن لك قائلاً: "أعلنه اللّه لنا نحن بروحه" (١كو٢:١٠). ولم يتوقف عند ذلك بل أظهر قوة الروح القدس وأنّه مساو للآب في الجوهر قائلاً: "لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق اللّه" (١كو٢:١٠).

ثم أراد الرسول بولس أن يجعلنا نفهم فهماً صحيحاً فاستخدم أمثلة من الحياة البشرية وقال: "لأن مَنْ منْ الناس يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضاً أمور اللّه لا يعرفها أحد إلاّ روح اللّه" (١كو٢:١١).

ألا ترى أن ما قاله بولس هو تعليم كامل؟

حقاً هذا هو البرهان الأعظم والأكثر قوة عن الروح القدس لأنه قدّم لنا مثالاً يوضّح لنا تماماً أنه من المستحيل أن لا يعرف الإنسان ما يجول في فكره. إذن طالما أن هذا لا يمكن أن يكون إلاّ هكذا، كذلك أيضاً فإن الروح القدس يعرف أعماق اللّه. لكنني لا أعرف لماذا لم يضع كلمات الرسول بولس هذه أولئك الذين بإرادتهم يؤذون أنفسهم صانعين حرباً ضد خلاصهم وضد الروح القدس، إذ يُبعدونه بقدر ما يستطيعون من مكانته وسلطانه ويُنزلونه إلى مكانة أدنى مع مخلوقات اللّه. لكن رغم أن هؤلاء يتصرفون بعداوة ويقاومون أقوال الكتاب المقدس، **إلاّ أننا نحن الذين قَبلنا الإيمان المُعلَن إلينا من السماء نقدّم إلى الرب المجد اللائق بِه ونُبرهن على دقّة التعليم الإلهي بالإيمان والحق المستقيم**، وبالرغم من أن كل ما قلناه هو كافي للردّ على أولئك الذين تجرأوا على المناداة بتعاليم مضادة لتلك التي قالها الروح القدس.إلاّ أنني أرى من الضروري أن أقدّم لكم أيها الأحباء، الإجابة على سؤال: لماذا لم يُرسل الرب الروح القدس بعد صعوده إلى السموات مباشرة؟.

هذا الأمر لم يحدث عبثاً وبدون سبب. إذ أن الرب يعرف أن الجنس البشري لا **يُقَدِّر** ـ كما ينبغي ـ الخيرات التي يملكها، ويُعلّمنا دائماً الأمور المفرحة اللائقة بوجود **المتضادات** وأستطيع أن أشرح هذه الحقيقة بطريقة أفضل.

فذاك الذي هو معافى وقويّ جسدياً لا يشعر بهذه العافية والقوة إن لم يختبر المرض والضعف الجسدي. وذاك الذي يرى النهار لا يُقدِّر النور كما يليق إن لم يعقب هذا النور ظلام الليّل. حقاً، إن خبرة الأمور المتضادة هي دائماً خبرة تربوية تعليميّة نكتسبها بفرح. هكذا على نفس القياس إستَمْتَعَ التلاميذ بخيرات كثيرة عندما كان المسيح معهم وكانوا فرحين بالحياة معه. أيضاً شَهِدَ لهم سُكّان فلسطين بأنّهم أقاموا موتى وطهّروا بُرص وطَردوا شياطين وشفوا مرضى وتمّموا معجزات كثيرة أخرى. لذلك كان من الضروري أن يتركهم فترة زمنيّة صغيرة بدون القوة التي كانت تعينهم حتى يدركوا بأنفسهم مدى أهمية عطية حضور الرب عندما كان بينهم، حينئذ يفهمون قيمة الخيرات السابقة ويقبلون بكل شوق واستعداد عطية المعزي.

إذن عزّاهم اللّه في ضيقتهم وأنارهم بنوره بينما كانوا عابسين ومكتئبين لإنفصالهم عن معلّمهم وبينما هم شبه موتى أقامهم وأزال سحابة الحزن، حينما سمعوا قول الرب: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" (مت ٢٨:١٩). وكانوا من قبل في حيرة ولم يعرفوا أين ينبغي أن يذهب كل واحد منهم، وفي أي منطقة من الأرض يجب أن يكرز بكلمة اللّه، حتى جاء الروح القدس على شكل ألسنة نار وقسّم لكل واحد المنطقة التي كان يجب أن يعلّم فيها وصار معروفاً باللغة التي أعطاها لكل واحد، لذلك حلّ الروح على شكل ألسنة نار، وبهذا أيضاً يذكرنا بقصة قديمة. فعندما إنحرف الناس ذهنياً في القديم وأرادوا أن يبنوا برجاً يصل إلى السماء، أحدث اللّه بلبلة في ألسنتهم وهكذا أبطل تخطيطاتهم الغبيّة. لأجل هذا

السبب يحلّق فوق رؤوسهم الروح القدس على شكل ألسنة نارية، لكي **يوحّد** ـ بهذه الطريقة ـ المسكونة التي كانت منقسمة. وهكذا حدث شيء غريب وغير معتاد، لأنه قديماً كانت الألسنة تُفَرّق المسكونة، وأما الآن فالألسنة الناريّة توحّدها وتقود إلى الوفاق بين الأمور التي كانت متضادة ومنفصلة فيما بينها. إذن، فقد حلّ الروح القدس على شكل الألسنة وحسناً أخذ شكل ألسنة نارية وذلك لكي تُحرق أشواك الخطية التي نبتت داخل نفوسنا. لأنه كما أن الأرض التي هي غنية وخصبة ولا تُفَلّح **تمتلىء من الأشواك الكثيرة** ، هكذا يكون لنا نحن البشر نفس الأمر. نحن الذين خلقنا اللّه صالحين وقادرين على أعمال الفضيلة ولكن بسبب أننا لم نقبل فلاحة التقوى ولا بذرة الإيمان باللّه إمتلأت نفوسنا من أشواك عدم الإيمان ونباتات أخرى غير مفيدة، وكما أنّه في مرات كثيرة يتغطّى سطح الأرض ويختفي من جراء الأشواك الكثيفة والنباتات البريّة، هكذا لا يظهر نقاء نفوسنا وتأدبها إذ قد غطتها أشواك الخطية، حتى أتى الكلمة خالق الجنس البشري **الذي وضع نار الروح القدس ليطهرنا** من الأشواك ويجعلنا مناسبين لقبول بذرة السماء .

المحبة هي الثمرة الأولى للروح القدس:

لقد إكتسبنا في هذا العيد خيرات كثيرة، لذلك أرجوكم أن نحتفل كما يليق بهذه الخيرات الصالحة التي حصلنا عليها ليس بتزيين المدينة بالأكاليل، لكن بتجميل نفوسنا بالفضيلة. أقول ليس بتزيين الأسواق بستائر ملونة لكن بأن نجعل نفوسنا تتلون وتلمع بالفضيلة حتى نستطيع هكذا قبول نعمة الروح القدس ونجني ثماره التي سوف يقدمها لنا.

القديس يوحنا الذهبيّ الفم

لكن ما هي ثمار الروح القدس؟

ليتنا ننصت إلى ما قاله بولس: "أما ثمر الروح فهو محبةٌ ، فرحٌ ، سلامٌ ،طول أناة، لُطفٌ ، صلاحٌ ، إيمانٌ ، وداعةٌ ، تعفّفٌ (غلا ٥: ٢٢).

لاحظ بدقة إنه يقدّم لنا هذا التعليم ويضع في البداية المحبة وبعد ذلك يذكر فضائل أخرى. فهو زرع الشجرة وبعد ذلك أظهر لنا الثمرة. وضع الأساسات ثم بنى المبنى. بدأ من المنبع ثم جاء إلى الأنهار. لأنه ليس من الممكن أن يشعر المرء بالفرح إن لم يعتبر أولاً أن فرحه هو سعادة الآخرين، وإن لم يرى أن الصالحات والخيرات الخاصة قَريبَه كأنها خاصة به. فلكي نستمتع بكل الثمار يجب أن تتملّك المحبة على نفوسنا.

المحبة هي جذر ومنبع وأم الصالحات،
لأنها كجذر تُنبت آلاف الفروع من الفضائل،
وكمنبع يتدفّق منها ماء كثير ونقي،
وكأم تحتضن كل أولئك الذين يلجأون إليها.

هذا بالتأكيد يعرفه جيّداً بولس الطوباوي، لذلك دعا المحبة ثمرة الروح القدس. واعتبرها أسمى جداً، حتى دعاها تكميل الناموس "المحبة هي تكميل الناموس" (رو١٣: ١٠). لذلك اعتبر رب الجميع أن المحبة هي الملمح الصادق الذي يتصف به تلاميذه: "بهذا يعرف الناس أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض" (يو١٣: ٣٥).

لذلك من فضلكم، دعونا جميعاً نسرع إلى المحبة ونحتضنها ونمسك بها بشدّة ونُعَيّد هذا العيد. لأنه حيث توجد المحبة تموت شهوات النفس. حيث توجد المحبة تتوقف حركات الشهوات الجامحة للنفس. فالمحبة كما يقول بولس الرسول:

"تتأنى وترفق. المحبة لا تحسد. المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء، المحبة لا تسقط أبداً" (١كو١٣: ٤-٥).

المحبة لا تفعل شيئاً شرّاً للآخر،
حيث توجد المحبة لا يوجد أي قايين آخر يقتل أخاه.
أخرج الحسد من قلبك فتكون قد أخرجت نهر الشرور.
إقطع جذر شجرة الخطيّة وسوف تختفي ثمارها مباشرة.

وأقول ذلك، بسبب أنني **حزين جداً** على أولئك الذين **يحسدون** إذ يؤذون ذواتهم ويدمروها بينما من يقع عليهم فعل الحسد ينالون مكافأة من اللّه. لذا نمدح هابيل ونذكر دائماً أنه بسبب الحسد اكتسب مجّداً. إذ أن قايين قتله وظلّ عائشاً هائماً مرتعباً من الفزع.

لكن هابيل الذي قُتِلَ تحدّث بأكثر شجاعة بعد موته "وإن مات يتكلّم بعد !" (عب١١: ٤). وكما جعلت الخطية قايين يحيا وهو أكثر عاراً من الأموات، هكذا جعلت الفضيلة هابيل ممجداً بعد موته.

تحذيرات وتوصيات:

إذن، لكي نكتسب ثقة أعظم في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى، ولكي نستمتع جداً بالفرح الذي يقدمّه لنا هذا العيد ليتنا نخلع عنا ملابس **نفوسنا القذرة خاصة لباس الحسد**. لأنه إن كنّا نفعل أعمالاً صالحة لا تُحصى سوف نفقد كلّ شيء إن كان يوجد في داخلنا هذا الخطأ المر والممقوت **(الحسد)**، والذي علينا أن نتجنّبه كلنا، خاصة أولئك الذين خلعوا بالمعموديّة اليوم لُباس الخطايا العتيق ويلمعون الآن باللباس الجديد مثل أشعة الشمس.

إذن من فضلكم، يا من صرتم اليوم أبناء اللّه، أنتم الذين لبستم هذا الثوب البهي، إحفظوا الفرح الذي نلتموه الآن، **طالما أعتقتم الشيطان** وعليّتم الجدار حتى لا يأتي إلى نفوسكم من الباب. وطالما أنتم تستمتعون بغنى الروح القدس فإنّكم ترون الثمار الروحيّة : **ثلاثون وستون ومائة** ، وبذلك تستحقون الحضور بدالة أمام الملك السماوي عندما يأتي ويُقسم الخيرات التي لا تُحصى على أولئك الذين عاشوا بتقوى وفضيلة هنا على الأرض بحسب وصايا ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوّة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

حكمة الله

ما بين نصف الخمسين وعيد المظال (٢)

المتروبوليت إيروثيوس فلاخوس
تعريب الأب أنطوان ملكي

تتمة من العدد السابق

المسيح ليس نوراً مخلوقاً مُدرَكاً بالحواس، ولا هو نور رمزي، كما أنّه ليس نوراً أخلاقياً على ما يرغب البعض في تصويره. **النور الإلهي هو قوته غير المخلوقة** التي متى أعطي للناس أن يروها، بعد أن يتطهروا، يرونها كنور.

إنّه النور الحقيقي للعالم. هنا ليس المكان المناسب للمعالجة الشاملة لموضوع أن اللّه نور العالم وما هو النور، فهذا نتطرق إليه في فصل شرح عيد تجلّي المسيح على طور ثابور. هنا علينا أن نشدّد على أمرين أساسيين.

الأول: أن هذا النور مرتبط بالحياة. ففي الحديث عن الحياة لا نعني حياة الإنسان البيولوجية والعاطفية، بل **تألّهه**. مَن يرَ النور الإلهي ينتقل من ظلام النوس إلى الحياة التي هي استنارة وتألّه. بما أن النور الإلهي ليس أخلاقياً ولا رمزياً ولا مُدرَكاً للحواس، هذا يعني أن الظلام ليس أخلاقياً ولا رمزياً ولا مُدرَكاً للحواس، بل هو **ظلام النوس أي موت عين النفس**.

ثانياً: لكي يُرى اللّه كنور، على الإنسان أن يكون في حالة روحية محدّدة وإلا فهو يراه كنار آكلة. يُختَبَر اللّه إمّا **كنار تأسر النفس** أو **كنار تأكلها**. في هذا تكمن رحلة الإنسان النسكية كاملةً.

✚ في كل التقليد الكتابي ـ الآبائي، تحمل كلمة «**حكمة**» صفة أقنومية وتشير إلى إبن اللّه وكلمته الذي صار إنساناً لخلاص جنس البشر. أريد أن أشير إلى مقطع أساسي يستعمله آباء الكنيسة كثيراً من عند الرسول بولس: «لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.» (١كو١:٢٢-٢٤). يتحدث العهد القديم عن الحكمة الأقنوم أي كلمة اللّه. في حكمة سليمان مقطع مميز، حيث يصلّي سليمان إلى إله الآباء ورب الرحمة لأن يرسل إليه حكمته. في قراءة هذه الصلاة بتأن نقتنع بأنها تتحدث عن الحكمة الأقنوم ابن اللّه وكلمته الذي به خُلق العالم وخلُص الجنس البشري والخليقة تجددت. في المكان الأول، ثمّة تشديد قوي على حكمة غير مجردة بل حكمة تجلس عند اللّه:

«هَبْ لي الحكمة الجالسة إلى عرشك» (حكمة٩:٤). هذه الحكمة تجلس على عرش اللّه وتقدر على مساعدة الإنسان: «أرسلْها من السماوات المقدّسة وابعثها من عرشِ مجدك لكي تقف إلى جانبي وتجدّ معي وأعلم ما المرضي لديك» (٩:١٠). الحكمة تعرف كلّ شيء وتقود الإنسان إلى أعماله: «فإنّها تعلم وتفهم كلّ شيء فتكون لي في افعالي مرشداً فطيناً وبمجدها تحميني» (٩:١١). بهذه الحكمة خلق اللّه العالم. «مكوّن الإنسان بحكمتك» (٩:٢).

حكمة اللّه المتشخصنة هي دائماً متّحدة باللّه، تعرف إرادته، وتشاركه في خلق العالم: «معك الحكمة العليمة بأعمالك والتي كانت حاضرة حين صنعتَ العالم» (٩:٩). وبالتأكيد، خلاص الإنسان يتحقق بها: «بالحكمة نلنا الخلاص» (٩:١٩).

يظهر بوضوح من الدراسة المتأنّية لهذه النصوص التي أوردناها، أي صلاة سليمان إلى اللّه، أنّ حكمة اللّه هي شخص، مساعد للّه، وكلمة اللّه.

عند تفسير هذه المقاطع على أساس العهد الجديد، الذي فيه كشف الكلمة المتجسّد الحقيقة، يرى المرء الحقّ، الذي هو الحكمة متمثلة في **شخص**.

يتحدّث كتاب الأمثال عن حكمة اللّه، كلمة اللّه، التي بنت بيتها ودعّمته بسبع أعمدة. من ثمّ هيأت مائدة وذبحت ذبحها وسكبت خمرها في جرّة. من ثمّ دعت كثيرين من أتباعها إلى هذه المائدة العظيمة قائلة: «هَلُمُّوا كُلُوا مِنْ طَعَامِي، وَاشْرَبُوا مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي مَزَجْتُهَا.» (أمثال ٩:١-٦). في هذا المقطع نبوءة عن حكمة اللّه الذي هو إبن اللّه وكلمته، عن اتخاذه جسداً وتقديسه، تأسيس الكنيسة التي فيها الأسرار، وبالحقيقة فوق كل هذا، **سرّ الإفخارستيا المقدسة**. مَن يشترك في هذه المائدة يأكل جسد أسرة الحكمة ويشرب دمها، أي أنه يتّحد بكلمة اللّه الأقنومية.

✚ في تفسير هذه المقاطع التي تشير إلى حكمة اللّه، يعلّم آباء الكنيسة أنّها بوضوح **تدور حول المسيح**. لن أورد كل المقاطع، بل الأكثر دلالة منها فقط. رداً على آريوس، الذي قال أن المسيح كان خليقة اللّه وتقدّم مع مرور الزمن في الحكمة والنعمة، قال **القديس أثناسيوس الكبير** أنّه ليس هناك تقدّم في اللوغوس ولا الجسد الذي إتخذه المسيح كان الحكمة، بل كان جسد الحكمة. لهذا يقول أن الحكمة لم تتكمّل لأنها الحكمة، بل الجسد البشري صار كاملاً في الحكمة. هذا يرتبط بما قلناه في مكان آخر بأن الحكمة التي في المسيح إستبانَت مع التقدّم في عمره الجسدي. وعند نقطة أخرى، يقول **بطل الأرثوذكسية العظيم، القديس أثناسيوس الكبير**، أنّ **إبن اللّه هو كلمة اللّه وهو الحكمة. إنّه التعقّل والإرادة الحيّة، وفيه إرادة الآب، هو حق الآب ونوره وقدرته**. في تفسيره كلمات الأمثال «الحكمة بنت لنفسها بيتاً»، يقول أنّ هذه تشير أيضاً إلى المسيحيين الذين يصبحون هياكلاً للروح القدس.

أخيراً، في كتابته ضد أريوس الذي شدّد على مخلوقيّة كلمة اللّه، يشير **القديس أثناسيوس** مرات عديدة إلى أقوال الرسول بولس بأن المسيح هو حكمة اللّه المتجسّدة. يستعمل **القديس باسيليوس الكبير**، في جهاده **ضد أفنوميوس**، القول الرسولي بأن المسيح هو حكمة اللّه، فيقول أن هذه الجملة تعني **أن كل قوة الآب تكمن في المسيح**، وبالتالي كلّ ما يفعله الآب يفعله الإبن بالطريقة نفسها. يفسّر الآباء المقاطع الصوفيولوجية في الكتاب ضمن هذا المنظور. يتحدّث **القديس كيرللس الأورشليمي** عن «حكمة اللّه وقوّته وبرّه المتجسّد». يقول **القديس أبيفانيوس**: «حكمة الآب هو كلمة اللّه المتجسّد». في إشارته إلى العذراء، يقول **القديس يوحنا الدمشقي** «والكلمة المتجسّد وحكمة اللّه، إبن اللّه، ظلّلها». وفي إشارة إلى والدة الإله، يقول **القديس صوفرونيوس الأورشليمي** «التي وحدها حملت حكمة اللّه المتجسّد في بطنها». **ولديديموس الضرير** قولٌ مهمّ في أنّه «يستحيل اقتناء النور إلاّ من النور، كذلك أيضاً يستحيل اقتناء الحكمة إلاّ من الحكيم، أي الإبن من الآب». هذه الأمور ليست صوفيولوجيا مجردة تدور حول حكمة مجهولة، ولا هي حتى شيء يشير إلى قوة اللّه، بل حكمة اللّه المتجسّدة أي إبن اللّه وكلمته. في العهد القديم نبوءات عن تجسّد الكلمة غير المتجسّد، وفي العهد الجديد امتداح له وتمجيد وحياة.

✚ بما أن المسيح هو حكمة اللّه المتجسّد، فأقواله هي تعبير عن هذه الحكمة. المسيح هو الكلمة (مع «أل» التعريف) أي كلمة اللّه، لأنّه يعلن مشورة اللّه الآب وإرادته، ولأنه مولود من الآب كما الكلمة من النوس. في الوقت نفسه، قوله، أي وعظه، تعليمه، هو تعبير وقوة كلمة اللّه وحكمته. قوله ليس قولاً بشرياً بل هو **بشري إلهي**. لهذا السبب تساهم كلمة الكلمة في شفاء الإنسان، على ما أكّد هو: «أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ» (يوحنا ١٥:٣). إن كلمة اللّه هي قوته غير المخلوقة التي تُطهّر وتُنير وتُقدّس الإنسان وبها يخلق اللّه العالم كله ويصونه. يقول المزمور «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ» (مزمور٣٢:٦).بالفعل، نحن لا نجهل أننا عندما نتكلّم عن كلمة اللّه (بمعنى قوله) نحن نعني أمرين، قوته غير المخلوقة، الكلمات والمعاني غير المنطوق بها، والثاني هو نقل الخبرة الإعلانية من خلال التعليم. في كل كلمة بشرية قوة مخبأة لأنها تعبّر عن الخبرة والمعرفة والقدرات الخاصة بكل شخص. هذا صحيح بالأكثر مع كلمة اللّه. كلمات المسيح نَقَلت، وما زالت تنقل، قوته غير المخلوقة. المسيح نفسه قال أن مَن يحفظ وصاياه يحبه الآب «وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً» (يوحنا ١٤:٢١-٢٣).

يقول **القديس مكسيموس المعترف** شارحاً هذه النقطة أن كلمة اللّه نفسه حاضر سرياً في كل وصية يعطيها. لكنّه معروف أن كلمة اللّه لا ينفصل عن الآب والروح القدس. لهذا مَن يحفظ كلمة المسيح يحصل على الثالوث في داخله ويشارك فيه سرياً. إذاً، تعاليم المسيح هي «كلمات الحياة الأبدية» (يوحنا٦:٦٨)، وليست مجرد تعليم. الكلمة غير المتجسّد أعطى الكلمة لأنبياء العهد القديم ولهذا هو مألوف قولهم «**هكذا قال الرب**».

من ناحية ثانية، لا يتكلّم المسيح بهذه الطريقة بل يقول «**أمّا انا فأقول**». وعندما تجد هذه الكلمة تربة ملائمة تثمر. المسيح كشف إرادة الآب. فكما أن للبذرة إمكانية وقدرة عظيمتين لأن ينبت منها شجرة ضخمة، كذلك لكلمة اللّه إمكانية وقدرة عظيمتين. إلى هذا، يوجد فرق بين القوة المخلوقة والقوة غير المخلوقة.

يخبرنا **القديس مكاريوس** أن كلمة اللّه ليست كسولة «بل لديها عمل حين تصبح في التربة». لهذا مَن يسمع كلمة المسيح «ينير المسيح طريقه»، بحسب **القديس ثالاسيوس**. إن الصفة النفّاذة لكلمة اللّه تعود لكونها بالتحديد قوّته غير المخلوقة، وهذا يظهر في مقطع مدهش من عند الرسول بولس: «لأَنَّ كَلِمَةَ الله حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لَعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا» (عبرانيين٤:١٢-١٣). لا يمكن شرح هذا المقطع إلاّ بربطه بكلمة اللّه وقوته.

السؤال هو: لماذا لا تعمل كلمة اللّه في كل الناس بالطريقة ذاتها. هذا يرتبط بأن النعمة الإلهية تعمل في الناس بشكل مختلف بحسب الحالة الروحية لكل منهم. يقول **القديس مكسيموس** بأن هنا أيضاً شيء مماثل لما هو الماء الحقيقي للنباتات والحيوانات. يدخل الماء في كل ما عنده حياة لكنه يؤدي إلى نتائج مختلفة. لكل شجرة ونبتة ثمرتها الخاصة، حلاوتها، مرارتها، حموضتها، مع أنها جميعاً تلقت الماء نفسه. هذا يتوقّف على تركيبة كل نبات. وهكذا تعمل الكلمة الإلهية وتظهر بما يتناسب مع نوعية فضيلة كل شخص ومعرفته، أي عملياً ومعرفياً. إذا كان المرء دنساً، تطهره كلمة اللّه، إذا كان في طور الاستنارة أو التألّه، تنيره وتؤلهه. هذا يفسّر معنى أن البعض **يخلصون** لسماعهم كلمة اللّه فيما **يُدان آخرون**.

يتبع

فهذا الذي تجمعه لمن يكون ؟

إذا كنتَ جمّاعاً لمالكَ مُمسكاً
فأنتَ عليه خازنٌ وأمين
تؤدّيه مذموماً إلى غير حامد
في أكله عفواً وأنتَ دفين

الملائكة و الشياطين

النورانيون المردة

العالم غير المنظور

م. باسيليا شلنيك

تتمة من العدد السابق

نعم منذ ذلك الوقت ، وملكوت اللّه تواجه المقاومة العنيفة من ملكوت الظلمة الشيطانيّ ، وجحافل أبالسته ، الذين يتبعون رئيسهم في حربهم القاسية ضدّ النّور ، ولكن حتى وإن كان الشيطان مع جيوش ملائكته الساقطين ، لهم قوّتهم الجهنميّة في حربهم هذه ضدّ ملكوت النّور ، إلاّ أنّ قواتهم إلى التفكّك ، والخذلان. لقد تحطّمت شخصيّة الشيطان حينما تعدّى حدود اللّه الموضوعة ، بين المخلوق ، والخالق ، محاولاً أن يكون مثل اللّه. وانتهت دعوته كحامل النّور ، **وتحوّل نوره إلى ظلمة** ...

ومنذ تأسيس العالم ، وهدف اللّه أن تكون له شركة المحبّة مع المخلوقات التي أبدعها ، والثقة المتبادلة مع الكائنات العاقلة. ولكن منذ **تمرّد لوسيفر** على اللّه ، تحطّمت هذه الصلة الكريمة ، الرفيعة. ومنذ أن **صرخ لوسيفر** صرخته: «**أنا هو الذي أنا هو ـ أريد أن أكون نظير اللّه**».

زالت هذه الشَركة وحلّ محلّها اليأس والظلام ، ودخل الموت إلى المَشهَد وهذ الحيّز. ولقد كان هذا أمراً لابدّ وأن يحدث. فالحياة الألهيّة والشخصيّة النبيلة ، تأتي حيث يكون هناك الإتكال على اللّه بروح المحبّة الفائضة الطوعيّة من القلب. ولكن **لوسيفر** بمحاولته إثبات ذاته، وبثورته وتمرّده على إلهه ؛ حطّم صلة المحبّة هذه ، وحطّم نفسه معها ....

إنّ كلّ كائن يخلقه اللّه ، يحيا فقط في فيض تيار الحياة النابع من مصدر كلّ حياة ـ الذي هو اللّه ـ والذي ليس هناك سواه ، وكل كائن يزداد قوّة وثباتاً حينما تتحد إرادته مع إرادة اللّه ، وهكذا سقَط **لوسيفر** في اللحظة التي قاوم فيها إرادة اللّه ... سقط من مركز الإتحاد الكامل مع اللّه ، وفقد قوّته كحامل النّور لأنّه إنقطع عن مصدر النّور والحياة ، ولم تعُد فيه بعد الحياة الإلهيّة ...

وأصبح على الشيطان الآن أن يواجه حقيقة موقفه الجديد فلم تعُد له المقدرة الإلهيّة بعد في كيانه وضاع منه كلّ ما يهبه السلطان ... وهذا ما يجعله يزمجر في أيامنا الحاضرة في **غيظ قاتل ، وفي حقده وثورته يهاجم اللّه ويهاجم كل ما هو إلهي**. لقد تحطّمت كلّ قوّته تماماً ، ولم يبقى سوى شبح رهيب من ملء ذلك النور الذي كان يفيض فيه الجمال والحياة التي كان يمتلكها ... إنّ نور اللّه يهب الدفء المبارك، ولكن **النور** الذي يصدر عن **لوسيفر الآن هو نور الحقد ، وهو نور مرعب رهيب ، يجعل الأبدان تقشعّر ، والنفوس تفزع. إنّه نور لا يهب الحياة بل يسبب الموت ، فهو مسخ للنور.**

زيادة على ذلك نقول ، أنّه منذ أن سقط لوسيفر ، أصبح صورة

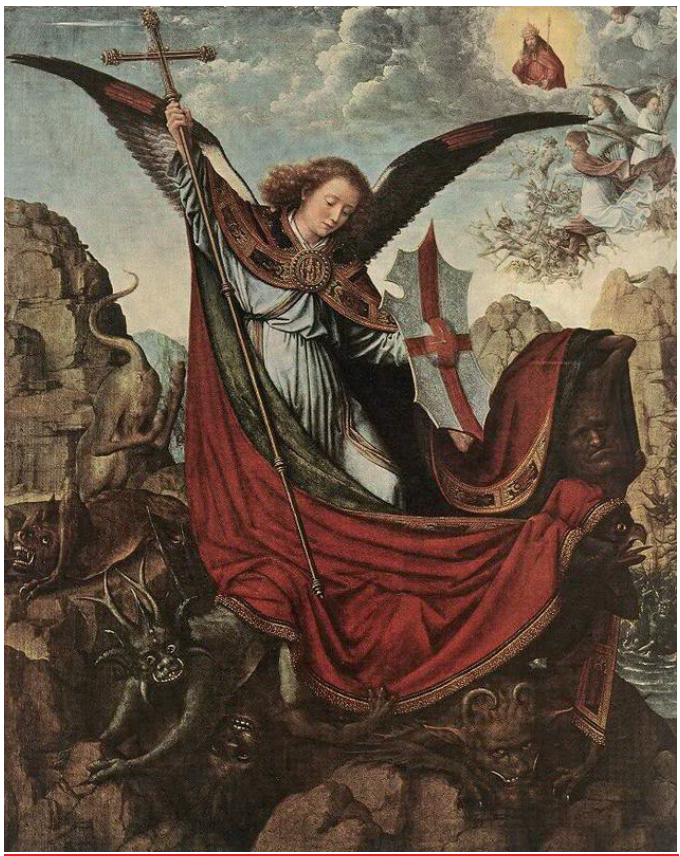

الملاك ميخائيل يدوس مملكة الشيطان بقوة الله الكامنة فيه

مُشَوِّهَة للحياة . فهو لذلك يقدّم الحياة المشوَّهة. لقد فقد الحياة الإلهيّة التي تأتي من الإتحاد باللّه والتي تجلب السعادة والتوافق والإنسجام. ومنذ سقوطه وتمرّده على اللّه ، تميّزت الحياة التي فيه **باليأس والإرتباك**. وهكذا ينعكس بين جيل وآخر في التاريخ ـ وعلى وجه خاص في أيّامنا الحاضرة ـ على مسرح الحياة ، من خلال الصورَ الفنيّة والتعبيرات الموسيقيّة التي يلهمها لأتباعه ، **إنّ كل ما يقدّمه الشيطان لأتباعه في طريق الحياة من المباهج والملذّات يحمل طابع الموت، ذلك لأنّه منفصل عن اللّه ومُضاد لوصاياه. إنّه يحمل بذار الموت ، وغالباً ما يؤدّي بأتباعه إلى الإنتحار ...**

وقوّة الشيطان التي تثمر الموت تعمل عملها ليس فقط في هذه الحياة ، بل حتى في العالم الآخر ، وحينما يتحدّث يسوع عن «**الموت الثاني**» فإنّه من المحتمل أن يكون عمليّة موت مستمرّة لا نهاية لها في مملكة الشيطان .

زيادة على ذلك ، فقد تحوّلت محبّة اللّه التي كانت تشّع في **لوسيفر** قديماً فتجعله «**حامل النور**» إلى **غضب متّقد قاتل يهلك الناس ، ويفتك بهم ، ويجعل حياتهم تفيض بالتعاسة** وكل ما يقف في وجه الشيطان أو يقاوم إرادته وسلطانه يتعرّض لغضبه وإضطهاده القاسي.

وهذا الحقد يُغذّيه ما لقيه الشيطان من فشل وما تعرّض له من خيبة أمل. فلقد ملأته الرغبة في أن يكون مثل اللّه ، وأنّـــى له أن يكون كذلك ! وتملأه أيضاً الرغبة في المستقبل لأنّ يقلّد المسيح ، ويظهر في صورة المسيح الدجّال ـ كما يقول القديس بولس الرسول ، ويُخضع له العالم الخاطىء ، ولكنّه يقلّد المسيح بصورة مقلوبة ، في صورة سلبيّة ، ذلك لأنّه سيحيا **حياة المسيح الكذّاب**. وعند ظهوره سيتعجّب النّاس سائرين وراءه متعبّدين له بهذه الكلمات «من هو مثل الوحش!» (رؤيا ١٣: ٤). مقلّدين بذلك جموع المتعبّدين في السماء ، الهاتفين: «من هو مثل اللّه!». ومرّة أخرى يحاول **لوسيفر** أن يغتصب عرش اللّه ، فالرغبة القاتلة تملأه لأن يكون مثل اللّه مثلما فعل في القديم عند سقوطه الأوّل ، وفي محاولته اليائسة للوصول إلى هذا الهدف سينفجر بركان غضبه ضدّ القدير.

وغَضَب **لوسيفر** القاتل الذي يوَجَّه ضدّ اللّه ، سيوجّهه بالطبيعة أيضاً ضد الإنسان ، فكل ذرّة من كيانه تغلي بالحقد من المخلوق الآدميّ. لقد سقَط **لوسيفر** فضاع مركزه أمام العرش مرّة وإلى الأبد.

ولكن الإنسان الذي إحتَقَره **لوسيفر** لأنّه أقّل منه ، ولأنّه مخلوق من تراب الأرض له الفرصة لأنّ يتحوّل إلى صورة اللّه ، **بعمل فداء المخلّص يسوع المسيح** وهكذا بمعونة الربّ ، فالإنسان الذي يغلب سوفَ تكون له القوّة العظمى أمام عرش اللّه ، أما الشيطان الذي أضاع هذا السلطان سيستمرّ بالبغض والضغينة لأولئك الذين يحبّون اللّه ، ويحسد شركة المحبّة والصلة التي يرتبط فيها أولئك مع الثالوث القدّوس! ذلك لأنّه هو نفسه قد فَقَدَ هذه الحالة المباركة.

وهكذا نجده مصمّماً على ألاّ يدَع واحداً يصل إلى حالة النعمة والبَرَكة. فيُهاجم الإنسان بكل ما أوتيَ من همّة وخداع ؛ ومن حادثة سقوط آدم نرى أن طريقته في ذلك هي أن يزرع في الإنسان حُبّ العَظَمة والسلّطان ، التي كان هو ممتلئاً بها.

«يوم تأكلان منها (من الشجرة) تصيران مثل اللّه» (تك٣: ٥). ولأن هذه كانت خطيّة الشيطان التي جعلته يدفع ثمن كبريائه بفقدانه لمركزه أمام العرش، لذلك فهو يدفع بالإنسان في نفس الطريق حتى يفقده مقامه أيضاً أمام عرش اللّه. إنّه يُهب قلب الإنسان ليجعله يتمرّد نظيره على خالقه ، وعلى كلّ سلطان ... «ورئيس هذا العالم يستخدم إلى يومنا الحاضر **نفس الإغراءات الخادعة** مُحرّضاً على **الذاتيّة المنتفخة المتكبّرة** ، وحكمته الشيطانيّة تتلخّص في هذه الشعارات:

«إثبات الذّات» «المركز والسلّطان» «الحريّة ليفعل الإنسان كلّ ما يريده».

لكن الويـــل سيكون لنا إن كُنّا نرتبط مع **لوسيفر الثائر في روحه الشيطانيّة المتمرّدة !**.

إنه **الكبرياء وتعالي النفس ، والرغبة الجسورة لأنّ نكون مثل اللّه**، تُحَوِّل الإنسان الذي خَلقه اللّه على صورته ، إلى صورة ممسوخة ، وفي هذه الروح روح التمرّد نَضع أيدينا في يد الشيطان أول الثائرين ونسقط من صلة المحبّة مع اللّه ، كما سقط هو. يا ليتنا لا نضيف إلى أحزان سيّدنا أحزاناً أخرى ، إنّ الربّ منذ سقوط **لوسيفر** وسقوط الإنسان ما يزال يتألّم من أجيال الزيغ والضياع التي تكرّر في حياة الكثيرين ، وعلى هذا فإنّ من الأمور الحيويّة لكل منّا أن نقطع كلّ صلة تربطنا مع الكبريَاء الشيطانيّة ، **وأن ننفصل عن كل روح ثورة ، وتمرّد** ، مكرّسين ذواتنا للسلوك بكل وداعة أمام اللّه ، وفي ملء الخضوع لإرادته القدّوسة ، وعند ذاك تفشل ثورة الشيطان ضدّنا وتُصبح قوّته محطّمة بالنسبة لنا. بل إنّ تدبيراته الخفيّة في واقع الأمر ، لا جدوى منها حينما تلتقي **بقدرة اللّه ومحبّة اللّه** ، فحتى لو قاد كلّ قوّاته الشيطانيّة للهجوم ضدّ اللّه وضدّ مَن ينتسبون للّه ، فمصير مجهوداته إلى الفشل.

إنّ مؤامرات الشيطان لابدّ وأن تنتهي إلى **لا شيء** لأنّ مشورة اللّه هي الفعّالة التي تَثبُت إلى الأبد. فمحبّة اللّه هي أعظم من حقد الشيطان ، **ودم يسوع المسيح** ، هو أقوى من كلّ هجمات عدوّ الخير...

يتبع في العدد القادم

قال المسيح وهو على الصليب: قد تم . أي أتمّ عمل التدبير الإلهي ومنها ، سحق رأس الحيّة أي الشيطان كما ذُكر في سفر التكوين : وهو يسحق رأسك (تك٣: ١٥) (ابن الإنسان يسحق رأس الحيّة). وبسقوط مملكة الشيطان ، تحرّر الإنسان من سلطان الجحيم. من خلال دم المسيح الثمين المسفوك على عود الصليب .

نزَلَ المخلّص إلى أعماق الهاوية (طرطروس) ليبد سلطان الموت أي إبليس ، فدم المسيح الطاهر أعتق آدم وحواء وذريّتهم من هول عذابات الجحيم.

وهذا ما يذكره القديس الذهبيّ الفم بعظة القيامة:

سبى الجحيم بنزوله اليه مَرْمَرَهُ لما ذاق جسدهُ.
وهذا بعينه قد تقدّم به أشعياء وصرخ قائلاً.
تَمَرْمَرَ لأنه قد هُزِىءَ به. تَمَرْمَرَ لأنه قد أميت.
تَمَرْمَرَ لأنه قد أُبيدَ. تَمَرْمَرَ لأنه قد رُبط.
تناول جسداً فصادفَ الهًا. تناول أرضًا فَصادف سماءً. تناول ما نظر فسقط من حيث لم ينظر.

مدخل إلى كتاب المزامير ٢

لأبينا الجليل في القديسين أثناسيوس الكبير

الربّ يغفر لداود خطيئته العظيمة، كما أعلنها له النبيّ يوناتان، فبعدما بكى بكاءاً مرّاً، كتبَ مزمور التوبة المشهور: (إرحمني يا الله بحسب عظيم رحمتك...) (مزمور ٥٠)

تتمة من العدد السابق

+ فرادة كتاب المزامير:

أما كتاب المزامير فله موهبةٌ خاصة وملاحظة فريدة، لأنه مع تعلّقه واشتراكه في ما هو موجود في الكتب الأخرى فقد احتوى أيضاً أمراً مختصاً وبديعاً، وهو إمتلاكُه حركات كُلِّ نفس وتغييراتها وتفاعلاتها موسومةً ومطبوعةً فيه، حتّى إن كُلّ مَن يريد أن يقتبس منه يكون لهُ مثل صورةٍ وروايةٍ مقارناً ذاتَه على ما وجد فيه.

في الكتب الأخرى نجد الناموس آمراً ما يجب فعله وناهياً عما لا يجب فعلُهُ، أو نجد نبوءةً تخبّر فقط بمجيء المخلّص، أو قصصاً تخبر عنها أعمال الملوك والقديسين. وأما كتاب المزامير،فإنَّ سامعه يُخبِّر بما سبق وكُتب ويكتشف حركات نفسه ليتعلّمها. وعندما يكون أحد الناس في ضيق ما فبإمكانه أن يختَار من هذه الاقوال ما يطلق حاله ويداويه بما يليق به من القول والفعل ويتعلّم منها. ولا نغفلَنَّ أنه يوجد في الكتب الأخرى شرائع تمنع الناس عن القبائح وتردعهم، لكن هذا الكتاب يدوّن كيف بالإمكان إجتنابها.

إن الكتب الأخرى تتضمّن وصيّة التوبة والكفّ عن الخطايا، أما هذا الكتاب فيشرح كيف يجب أن تكون التوبة وكيف يُعبَّر عنها، فإنَّ سامعه يُخبِّر بما سبق وكُتبَ ويرتشف حركات نفسه ليتعلمها. يقول بولس الرسول: «إنَّ الحزن يصنع صبراً والصبر إختباراً والاختبار رجاء والرجاء لا يُخزي». أما كتاب المزامير فيحدّد لنا كيف يجب أن يكون إحتمال الأحزان، وماذا يقول المحزون وقت الحزن وما بعد الحزن ، وكيف يُجَرب كُلُّ مخلوق. كما يورد أقوال المتكلين على الربّ، ويؤكد أنَّ الوصية فرضت علينا الشكر على كل حال، وتعلمنا المزامير ماذا يقول الشاكر كما يورد عند آخرين: «أنَّ الذين يريدون أن يعيشوا بحسب الايمان بالمسيح سيطردون». لكن نقرأ في المزامير ما رأي المطرودين وماذا يقولون للّه بعد طَردهم. كما ورد في الوصية أيضاً أنه علينا أن نبارك الرب ونعترف له، لكن المزامير تصوّر لنا كيف نسَبحُ اللّه، وبأيَّة أقوال نعترفُ له.

القديس أثناسيوس الكبير

لذلك يمكن لكل إنسان أن يجد، أن التسابيح قد وُضعتْ لنا لنحَياها.

أيضاً ، في المزامير أمرٌ مستغرب أنَّ الأقوال التي يتفوه بها القدّيسون في الكتب الأخرى، إذا عرفها السامعون يظنّون أنَّ المكتوبَ عنهم هم أناسٌ آخرون وليس هم ذاتهم. لكن الذي يتلو كتاب المزامير فيتعاطاه بمثابة قول شريف يتخشع له وكأنه معنيٌّ به شخصياً ، ويَقيس نفسه على أقوال التسابيح وكأنها خاصة به. فلا نكسلن، إبتغاء للإيضاح، أن نعود فنقول نظير المغبوط بولس الرسول إن ثمة كلمات كثيرة هي خاصة برؤساء الآباء، وهم تلفظوا بها. فموسى هو الذي كان يتكلّم واللّه يُجيبُ. والنبي إيليا وأليشع بجلوسهما على جبل الكرمل، كانا يستدعيان الربّ ويقولان: «حيٌّ هو الربُّ الذي أقمنا اليومَ لديه». كذلك سائر أقوال الأنبياء القديسين الآخرين التي كان البعض منها مقولاً عن المخلص. وبعدها وردت كلمات كثيرة عن الأمم واسرائيل. لكن لا أحد قط إدعى أنها خاصة به، حتّى ولا أقوال رؤساء الآباء.

ولا يتجاسر أحد أن يقول متباهياً بأن أقوال موسى هي عنه هو، ولا الذي تكلّم به إبراهيم عن ضرورية فلا يتجاسر أن يتكلّم بها كخاصة لهُ، ولو ساوى أحدٌ النبيين في الولوع والشوق إلى الأفضل، لا يمكنه أن يقول كما قال موسى: «أظهر لي ذاتك» ولا ينتحل أقوال الأنبياء ويجعلها كأقوال خاصة به في مدح أو ذمٍّ أحد من الناس قائلاً مثلها لمن مَدَحوا أو ذمّوا. ولا يتجاسر أحدٌ أنْ

يقول مناضلاً كمن ذاته: «حيٌّ هو الربُّ الذي مثلتُ بحضرته أنا اليوم»، لأن الأمر واضحٌ أنَّ مقتبل الكتب لا يتخذ الأقوال كأنها لذاته بل كأقوال القديسين وأقوال الذين يعبّر عنهم. واما الذي يتلو المزامير فيحدث له غير ذلك، لأن كل ما قيل في المخلص وفي الأمم يتكلم به المرء كأقوال نفسه ويرتلها وكأنها محرَّرةً من أجله ولا يتعاطاها وكأنها معبرة عن شخص آخر ولا محرّرة من قبل غيره، ولكنه ينظر إلى المتكلم بها كعن ذاته وكأنه هو العامل ما قد قيل فيها، ويقربها إلى اللّه ناطقاً بها من نفسه هو غير عازل نفسه عنها من حيث هي أقوال رؤساء القبائل وموسى وألأنبياء.

والسبب هو أن الذي يحفظ الوصية أو يخالفها، كلاهما مشمول بالمزامير.وهذا شيء لازم وضروري أن ينحو كل انسان بهذين الأمرين فيتلو الأقوال المكتوبة بشأن كليهما معاً إما كحافظ الوصية أو كمخالفها. وفي ظني أنها تكون لمرتّلها بمنزلة مرآة يرى فيها حركات نفسه ويحسّ بها، فان إقتبلها فهو يتوبّخ من ضميره ويتخشّع بتوبة، أو يبتهج لسماعه بالرجاء إلى اللّه ويشكر على المساعدة التي تصير منه للمؤمنين. هكذا عندما ينشد المزمور الثالث ويرى أحزان ذاته، يستخص ما فيه من الأقوال. وكذلك في المزمور العاشر مع السادس عشر فكأنه يخبّر عن إتكاله على اللّه وصلاته إليه.

وإن رنّم **المزمور الخمسين** فكانه **هو القائل أقوال التوبة**. ومتى رتّل المزمور الثالث والخمسين، والسادس والخمسين، والمائة والحادي وألأربعين، يظن نفسه أنّه هو المطرود والمتأذّي وليس غيره، كما يرتّل هذه الأقوال إلى اللّه وكأنها له هو. وبألإجمال إن كلّ مزمور منبثق من الروح كما ذكرنا، فيه نرى حركات نفوسنا وكأنها أقوالنا تذكّراً لما فينا من الحركات وتثقيفاً لسيرتنا. هذه كلها تفوَّه بها المرتلون ولعلها لنا رسمٌ ومثالٌ.

هذه هي نعمة المخلّص الذي صار إنساناً من أجلنا قرَّبَ جسدّهُ للموت فداءً لنا. أمّا تصرّفه السماوي وألأرضي فقد رَسَمَهُ في ذاته ليكون للمؤمنين **نموذجاً للغلبة على المحال**، فلا ينخدع أحدٌ منَ شر العدوِّ. من أجل ذلك بما أنَّ السيدَ علّم لا بالقول بل بالعمل أيضاً، فليسمع منه كلُّ واحد وينظر اليه كإلى صورة ويتخذه قدوة في العمل لأنه قال: «تعلّموا مني فاني وديعٌ ومتواضعُ القلب». هذا ولا يمكن لأحد من الناس أن يجد تعليماً للفضيلة أكملَ من الذي رسَمَهُ ربُّنا في ذاته ، سواء بالنسبة لعدم الشرِّ أو محبّة البشر أو الرجوليّة أو الرحمة أو العدالة. كُلُّ هذه يجدها صائرة فيه. ولا ينقص أحداً شيءٌ من الفضيلة إن إعتبر عيشة ربّنا البشرية التي كان يعلّم بها بولس الرسول فيقول: «صيروا مقتدين بي، كما أنا بالمسيح». وهذا لم يحدث لحكماء اليونانيين الذين كانت بهجتهم على قدر سلامهم.

أما الرب فبما أنَّهُ إلهُ الجميع بالحقيقة والمعتني بما صنع لا يشترع فقط بل يدفع ذاتهُ مثالاً للذين يريدون أن يعرفوا قدرة العمل، لذا وقبل حضوره بالجسد، جعل هذا الأمر للمرتّلين أنَّهُ كما أظهر في ذاته رسمَ الأنسان السماوي الكامل كذلك يقدر كل من أراد أن يتأمل ويختبر من المزامير حركات وأطباع النفوس، كما يلقى فيه دواءَ كُلّ حركة وتقويمها. وان كانت ثمة حاجة إلى برهان أقوى نقول إن كلّ **كتاب إلهيّ يعلّم الفضيلة والأيمان الحقيقي** ، فيما يحتوي مصحف المزامير على **صورة الأستسارة ، والإستنارة وملجأ لتقويم النفوس**. وكما أنَّ الذي يدخل إلى ملك يتزيّا بصفة وأقوال لئلا يُعَيَّرُ بأنه عديمُ الأدب اذا تكلم بخلاف ذلك، كذلك المصحف أيضا. فكلّ من كان ساعياً إلى الفضيلةَ ومريدا أن يعتبر سيرة المخلّص وتصرّفهُ بالجسد يتذكره أولاً بتلاوته شريعة النفس ثم يعمل ويعلّم بمثل هذه الأقوال.

+ كتاب المزامير مصنّفاً:

ليتأمل كلٌّ واحد من البشر أولاً ما هو لهذا المصحف أن بعضاً من المزامير مقولةً على **سبيل الحكاية**، وبعضها على **سبيل النصيحة**، وبعضها على **سبيل الأعتراف**. فالتي على **سبيل الحكاية** هي: العاشر ، والثالث والاربعون، والثامن والاربعون، والتاسع والاربعون، والخمسون، والسادس والثمانون، والثامن والثمانون، والمائة والتسعة، والمائة والثالث عَشَرَ، والمائة والسادس والعشرون، والمائة والسادس والثلاثون.

وأمّا التي على **سبيل الضراعة** فهي: المزمور السادس عَشَرَ، والسابع والستون، والتاسع والثمانون، والمائة والواحد، والمائة والواحد والثلاثون، والمائة والواحد وألأربعون.

وأمّا التي في **سعادة وضراعة وتوسّل** فهي:
الخامس، والسادس، والسابع، والحادي عَشَرَ، والثاني عَشَرَ، والخامس عَشَرَ، والرابع والعشرون، والسابع والعشرون، والثلاثون، والرابع والثلاثون، والسابع والثلاثون، والثاني وألأربعون، والثالث والخمسون، والرابع والخمسون، والخامس والخمسون، والسادس والخمسون، والثامن والخمسون، والستون، والثالث والستون، والثاني والثمانون، والخامس والثمانون، والسابع والثمانون، والمائة والسابع والثلاثون، والمائة وألأربعون.

وأما **ذو الاعتراف** فهو: الخمسون، والستون،
و**ذو التهليل والقيامة** فهو: الخامس والستون.
وهناك مزمور واحد **للتهليل** وهو التاسع والتسعون.

يتبع في العدد القادم

الدنيا إذا أقبلت على أحدٍ خلعت عليه محاسن غيره وإذا أعرضت عنه سلبته محاسن نفسه .

مَن إصفرَّ وجهه من النصيحة . إسودَّ وجهه من الفضيحة .

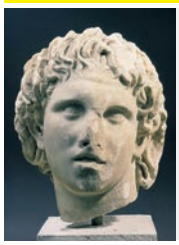

قيلَ للإسكندر ما سرور الدنيا ؟
قال: الرضى بما رُزقت .
فقيلَ ما غمُّها ؟
قال: الحرص عليها.

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

يتقدّس مكان القدّاس الإلهيّ وزمانه «بالذي يعلو على الزمان والمكان ويفوق كلّ إسم وإدراك» (إكليمندوس الإسكندري). المسيح وهو في السماوات ، هو أيضاً معنا في القدّاس الإلهيّ. ليس معنا فقط لكنّه يأتي ليقيم فينا. ويقول الذهبيّ الفم: «إفتكروا أنتم يا مَن تشتركون في جسد المسيح ، وتتذوّقون ذاك الذي يجلس فوق ، المسجود له من الملائكة ، والقائم في القوّة التي لا يعروها فساد». المسيح يناول نفسه بيديه الكلّيّتي الطهارة للكاهن ، ومنه ﴿لكل الشعب﴾ . فيغدو المسيح فَرَحاً عظيماً لكلّ الشعب».

ويقول الشمّاس : لنصغ
الكاهن: يرفع الخبز المقدّس ويقول: القدسات للقدّيسين.
الشعب: قدّوسٌ واحد. ربّ واحد. يسوع المسيح في مجد اللّه الآب. آمين
وبعدها يرتّل كينونيكون اليوم (أي تسبيحة الشكر) .

* القدسات للقديسين

جسد المسيح المقدّس ودمه الكريم هما القدسات التي ينبغي منحها لمناولة القدّيسين. المسيح هو القدّوس الواحد والوحيد. الربّ الواحد والوحيد. بإمكاننا نحن أن نُدعى قدّيسين ، فقط لأنّنا نقتبل قداسته: «يدعى المؤمنون قدّيسين بسبب القدّوس الذين يتناولون جسده ودمه». (القديس نيقولاوس كاباسيلاس).

المسيح «هو نفسه نبع كلّ الصالحات وأصلها ، هو الحياة نفسها ، النور عينه ، الحقّ ذاته». وهو «لا يحتفظ لنفسه بغنى الصالحات لكنّه يفيض به على البَشر كافّة ولا يَفرُغ أبداً». (القديس يوحنا الذهبي الفم) ولما كان هو نبع القداسة نفسها ، فإنّه يوزّعها في كلّ مكان فيقدّس الكنيسة ، وأما نحن كلّنا الذين نتّحد بجسده المقدّس ، فنتقبّل ملء قداسته.

ويقول الكاهن: «**القدسات للقديسين**». فيشرح القديس يوحنا الذهبيّ الفم: «يقف الكاهن منتصباً كأحد الوعّاظ رافعاً يديه ، ولمّا يغدو منظوراً من الجميع ، عندها يرفع صوته عالياً وسط ذلك السكون الرهيب فيدعو بعضاً إلى المناولة ويمنع آخر عنها. وهو لا يفعل ذلك بإشارة اليد بل بحركة اللسان فقط... فهو عندما يقول: ﴿القدسات للقديسين﴾ إنّما يقصد ما معناه : لا يقتربنّ مَن ليسَ قدّيساً. فالقديس ليسَ مَن غابت عنه الخطيئة ، ولكن مَن كان الروح القدس حاضراً فيه وغدا مستودعاً غنيّاً بالأعمال الصالحة. كأنّي به يقول بكلمات أخرى: لا أرغب في أن تكونوا منعتقين فقط من الحمأة بل أن تكونوا متوشّحين بالحسنُ ومرتدين الحلّة البيضاء».

«لا يجوز لأيّ إنسان الإقتراب من الأسرار الطاهرة ... لذا لا يدعو الكاهن كلّ واحد ، بل أولئك فقط الذين يسيرون نحو القدسات: القدسات للقدّيسين ... وهو لا يقصد هنا بعبارة ﴿القدّيسين﴾ فقط أولئك الذين بلغوا كمال الفضائل ، ولكنّه يحصي معهم أولئك الذين يغصبون ذواتهم في سبيل بلوغ هذا الكمال ، لكنّهم لم يدركوه بعد. وليس من مانع يحول دون أن يتقدّس هؤلاء باشتراكهم في الأسرار المقدّسة». (القديس نيقولا كاباسيلاس).

* قدّوسٌ واحد،ربّ واحد ، يسوع المسيح

وعلى إعلان الكاهن ﴿القدسات للقديسين﴾ يجيب المؤمنين بدورهم: قدّوس واحد، ربّ واحد، يسوع المسيح ، لمجد اللّه الآب. جوابهم هذا يشكّل إعترافاً «أنّنا قد تقدّسنا بالإبن الوحيد المتجسّد والمصلوب، وأنّنا أُعتقنا من الموت وأحرَزنا عدم الفساد». «فليس أحد بمقدوره أن يقتني التقديس بنفسه ، لأنّ القداسة نتيجة تحصيل فضيلة بشريّة ، إنّما يحرزها الجميع من الربّ وبفضله. فكما لو وُضعَت تحت الشمس عدّة مرايا فإنّها ستتلألأ بطبيعة الحال وتُرسل أشعتها فتخال أنّك ترى شموساً عديدة، إلاّ أنّ الشمس هي واحدة في الحقيقة وهي التي تضيء الجميع. وعلى المنوال نفسه فإنّ القدّوس واحد ، وهو ينسكب على المؤمنين ويتجلّى في نفوس كثيرين ويُظهر قدّيسين ، إلاّ أنّ القدّوس واحد أحد».

وبينما الربّ القدّوس أمامنا، تقترب لحظة المناولة المقدّسة «عندئذ يعتلن إعتراف الشعب كلّه ، بهتافه: " قدّوس واحد " . إنّ الإلتئام السريّ إنّما هو إلتئام يفوق كلّ منطق ويسمو على كلّ عقل ، أمّا الوحدة فهي وحدة بالواحد الأحد لأولئك الذين بلغوا الكمال بحسب اللّه بحال سريّة. إنّها وحدة ستتمّ في أبديّة " العقليّات " غير الفاسدة. هناك في تلك الأبديّة ، يعاين أولئك الذين اقتبلوا الكمال نور المجد غير المنظور الذي لا يوصف ويقتبلون النقاوة الإلهيّة على مثال القوّات السماويّة» وأما الكنيسة فتدعو في القدّاس الإلهيّ: «مَن كان قدّيساً فليقترب ، ومَن لم يكن فليَتُبْ. تعال أيّها الربّ يسوع. آمين» .

يتبع في العدد القادم

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء المنارة الذهب (٦)

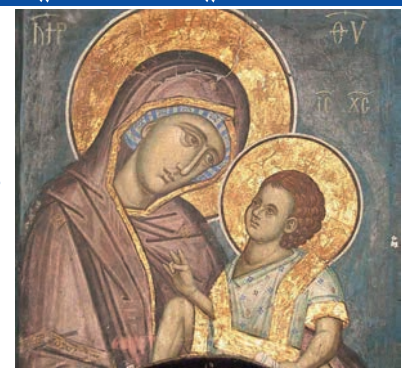

«وكلّم الربّ موسى قائلاً: وتصنع منارةً من ذهب نقيّ. عمل الخراطة تُصنَع المنارة قاعدتها وساقها. تكون كاساتها وأزهارها منها * وست شُعَب خارجةٌ من جانبها. من جانبها الواحد ثلاث شُعَب منارة. ومن جانبها الثاني ثلاث شُعب منارة * وفي الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزيّة بعُجرة وزهر. وفي الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزيّة بعُجرة وزهر. وهكذا إلى الست الشعب الخارجة من المنارة * وفي المنارة أربع كاسات لوزيّة بعُجرها وأزهارها * وتحت الشعبتين منها عُجرة وتحت الشُعبتين منها عُجرة وتحت الشعبتين منها عجرة إلى الست الشُعب الخارجة من المنارة * تكون عُجرها وشُعبها منها. جميعها خراطةٌ واحدة من ذهب نقيّ * وتصنع سُرجها سبعةً. فتُصعد سُرجها لتضيء إلى مقابلها. وملاقطها ومنَافضها من ذهب نقيّ. من وزنة ذهب نقي تُصنع مع جميع هذه الأواني * وانظر فاصنعها على مثالها الذي أُظهِرَ لك في الجبل» (خروج ٢٥: ٣١–٤٠).

لم تكن المنارة لمجرّد الإضاءة فحسب ، وإنّما كانت جزءاً لا يتجزأ من الطقس التعبّدي ، لها مفاهيمها اللاهوتيّة الروحيّة. فالنور يذكّرنا باللّه الذي أوجده كأوّل أعمال خلقته (تك١: ٣) ، في النور يسكن اللّه ، من نوره جاز السحاب (مز١٧: ١٢) ، وبالنّور يلتحف (مز١٠٣: ٢) ، هو نور شعبه (أش١٠: ١٧) ، يضيء عليه بمجيئه لخلاصه (أش٩: ٢) ، كما يضيء على الأمم والشعوب (أش ٤٢: ٦ و ٤٩: ٦) ، ليحوّلهم من أبناء الظلمة إلى أبناء النّور.

وكما أنّ السيّد المسيح هو نور العالم (يو ١: ٤ و ٨: ١٢). فبإشراقه على تلاميذه جعلهم نوراً للعالم (مت٥: ١٤و١٦) ، بهذا نرى الكنائس في سفر الرؤيا في شكل منابر سبع (رؤ١: ١).

لذالك إعتبرت العذراء والده الإله ، أيضاً **المنارة الذهب النقيّ الحاملة المصباح المتّقد** في كل حين الذي هو نور العالم الغير مقترب إليه، النور من النور الذي لا يعتريه مساء. هكذا ننشد في الهجمة عند الدورة خارج الكنيسة في عيد الفصح: **هلمّوا خذوا نوراً من النور الذي لا يغرب، ومجّدوا المسيح الناهض من بين الأموات.**

فالعذراء مريم هي أم النور، وهكذا ندعوها في سحريّة القدّاس الإلهي (التسبحة التاسعة) :

الكاهن: **لوالدة الإله وأم النّور بالتسابيح نعظّم مكرّمين:**

الخورس: يا من هي أكرم من الشروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السرافيم التي بغير فساد ولدت كلمة اللّه وهي حقّاً والدة الإله إيّاك نعظّم.

وكذلك الكنيسة في صلواتها تنشد بصوت المرنّم قائلة:

١) عيد ميلاد والدة الإله ٨ من أيلول:

« إنّ مريم العذراء النقيّة وحدها ووالدة الإله حقّاً قد بزغت لنا اليوم مثل غمامة النّور. ووفدت علينا من الصدّيقَين شَرَفاً لنا. فآدم لَن يُقضَى عليه فيما بعدُ. وحوّاء قد أُطلقت من القيود فلذلك نهتف نحوها صارخين إنّ ميلادك يبشّر كل المسكونة بالفرح» (الأرمس)

٢) دخول سيّدتنا والدة الإله إلى الهيكل ٢١ تشرين الثاني:

«ليبتهجنّ داود كاتب التسابيح. وليرقصنّ طرباً يواكيم وحنّة. لأنّهم من نسلهم جاء نتاجٌ مقدّس هو مريم المصباح الإلهيّ النيّر. وهي تُسَرُّ بدخولها إلى الهيكل. وابن باراك لما رآها باركها. وصرخ فرحاً يقول إفرحي يا أعجوبة العالم بأسره.» (الكاثسمة لحن ٨).

٣) حبل القديسة حنّة بوالدة الإله ٩ كانون أوّل:

« اليوم تُقام في بطن حنّة بإشارة اللّه صانع كلّ الأشياء السماء الجديدة. التي أشرقَت منها الشمس التي لا تغرب. أعني المحبَّ البشر الوحيد. الذي ينير بأشعّة لاهوته العالم كلَّه عن فرط تحنّنٍ ورأفة » (الكاثسمة الأولى).

٤) عيد حافل لوالدة الإله ٢٦ كانون أوّل:

« إنّ مُلكك أيّها المسيح الإله مُلك جميع الدهور. وسيادتك في كلّ جيل فجيل. فإنّك بحضورك يا مَن تجسَّد من الروح القدس وتأنّس من مريم العذراء الدائمة البتوليّة. قد أشرقتَ لنا بالنّور. وأبهجت الخليقة كلّها أيها النور وشعاع الآب. فكلُّ ذي نسمة يسبّحك يا رسم مجد الآب. فيا أيّها الأزليُّ السرمديُّ. اللهمَّ يا مَنَ بَزغ من العذراء إرحمنا» (إيديومالات العيد ـ صلاة الغروب).

٥) عيد بشارة والدة الإله ٢٥ آذار:

« إفرحي أيّتها السيّدة العذراء الكليّة النقاوة. إفرحي يا مقرّ اللّه، إفرحي يا منارة النّور، إفرحي يا استعادة آدم . ونجاة حوّاء. والجبل المقدّس. والمَقدس الشهير. وخدر الخلود» (سحريّة العيد).

٦) عيد رقاد والدة الإله ١٥ آب:

« إنّ العروس البريئة من كلّ العيوب. وأم الذي سُرَّ به الآب. التي عيّنها اللّه بسابق تحديده لتكون مسكناً لهُ بالإتحاد الذي لا تشوّش فيه. تودع اليوم نفسها الطاهرة عند اللّه الخالق. فتستقبلها قوّات الملائكة العديمي الأجساد إستقبالاً لائقاً. فتنتقل إلى الحياة. وهي أمّ الحياة حقّاً. ومصباح النور الذي لا يدنى منهُ. وخلاص المؤمنين.ورجاء نفوسنا» (ستيشارات ـ صلاة الغروب).

في أسرار الربّ المقدّسة الطاهرة

للقديس يوحنا الدمشقي

المسيح هو المُقَرِّبُ والمُقَرَّب ، والقابِلُ والموزَّع

تدبيرُ خلاص البشر:

ـ لمّا كان اللّه صالحاً وكامل الصلاح وفوق الصلاح وكان كلّه من الصلاح ، وكان ـ لسبب فيض غنى صلاحه ـ لم يحتمل أن يكون الصلاح له وحده ـ أي لطبيعته ـ دون أن يُشارك به أحداً ، فقد جعل هبة صلاحه للقوّات السماويّة العقليّة أولاً ، ثمّ للعالم المنظور والمحسوس ، ثمّ للإنسان المركّب من معقول ومحسوس. إذاً فإنّ جميع مَن أوجدهم قد أشركهم بصلاحه من حيث وجودُهم ـ لأنّه هو نفسه الوجود لجميعهم و «لأنّ كلّ شيء هو به» ـ لا لأنّه هو نفسه قد أخرج الكلّ من العدم إلى الوجود فحسب ، بل أيضاً لإنّ فعله تعالى يحفظ كلَّ ما كوّنه ويُبقيه في الوجود، وخاصّة الكائنات الحيّة. فإنّها بحسب وجودها وبحسب بقاء حياتها في الوجود تشترك بصلاحه. وبالأحرى كثيراً الكائنات الناطقة ـ إنْ بحسب ما سبق قوله وإنْ بحسب ذاك الناطق (الإنسان) ـ فما أقربه إليه تعالى رغم أنّ اللّه هو الأسمى سمّواً لا قياس له !!! .

وعليه فإنّ الإنسان ـ لكونه ناطقاً وحرّاً ـ قد نال سلطاناً للإستمرار ـ لو أراد ـ متّحداً باللّه ، شريطة أن يبقى في الصلاح أي في الخضوع للخالق. لكنه لما انحدر إلى مخالفة وصيّة جابله وسَقط تحت عقاب الموت والفساد، ما كان من جابل جنس البشر وصانعه إلاَّ أن يتشبَّه بنا ، مدفوعاً لذلك بأحشاء رحمته وصائراً إنساناً في كلّ شيء ما عدا الخطيئة ، ويتّحد بطبيعتنا. ولمّا كان قد أعطانا صورته الخاصّة وروحه الخاصّ ولم نحافظ عليهما ، فقد شارَكنا هو نفسه في طبيعتنا الحقيرة والضعيفة ، لكي ينقّينا وينزع عنّا الفساد ويجعلنا من جديد شركاءَه في لاهوته.

مفعول التجسّد في متروكات المسيح للبشر:

ـ وكان ينبغي ألاَّ ينحصر الإنعام بالحياة الفضلى في الباكورة فحسب. بل أن يتجاوزها إلى كل إنسان يريده. ذلك بأن يولَد الإنسان ولادة ثانية ، وأن يغتذي بغذاء ملائم لهذه الولادة فيصل إلى مقدار الكمال. فالمسيح إذاً بميلاده ـ أي بتجسّده ومعموديّته وآلامه وقيامته ـ ، قد أعتقَ طبيعة خطيئة أبينا الأوّل من الموت والفساد. وصارَ باكورة قيامتنا ، وجعل من ذاته طريقاً لنا ورمزاً ومثالاً ، حتى إننا نحن أيضاً ، إذا ما اتّبعنا آثاره ، نصير بالوضع ما هو عليه بالطبيعة ، أبناءً وورثة اللّه وشركاء في الميراث ، فهو إذاً قد أعطانا ـ كما قلت ـ أن نولد ثانية حتى إنّنا ، كما وُلدنا من آدم فماثلناه وورثنا عنه اللعنة والفساد ، كذلك أيضاً بولادتنا منه نماثله فنرث عنه عدم الفساد والبركة والمجد.

الولادة في المسيح والطعام المزدوج:ـ

تأسيس الإفخارستيّا:ـ أَكَلَ المسيح الفصحَ القديم: ـ

ولمّا كان آدم هذا روحيّاً ، وجَب أن تكون الولادة روحيّة أيضاً والطعام أيضاً كذلك. ولكن لمّا كُنّا مزدوجين ومركّبين ، وجب أن تكون الولادة أيضاً مزدوجة والطعام كذلك مركّبا. فإنّ الولادة إذاً تُعطى لنا بالماء والروح ـ وأعني بذلك المعموديّة المقدّسة ـ أما الطعام فهو خبز الحياة نفسه ، ربّنا يسوع المسيح ، النازل من السماء. ولمّا كان مزمعاً باختياره أن يستسلم للموت لأجلنا ، في الليلة التي قرَّب فيها ذاته ، **وضع عهداً جديداً لتلاميذه الرسل القديسين** ـ وبواسطتهم لجميع المؤمنين به ـ ففي عليَّة صهيون المقدّسة المجيدة ، فيما كان يأكل الفصح القديم مع تلاميذه ويكمّل العهد القديم. غَسَل أقدام تلاميذه ، رامزاً بذلك إلى المعموديّة المقدّسة ، ثمّ كسَر خبزاً فقدّمه لهم قائلاً: «خذوا فكلوا ، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم لمغفرة الخطايا» ، وكذلك أخذ أيضاً الكأس من خمر وماء وقدّمه لهم قائلاً: «إشربوا من هذا كلّكم ، هذا هو دمي ، دمُ العهد الجديد ، المهراق عنكم ، لمغفرة الخطايا. إصنعوا هذا لذكري. فكلَّ مرّة تأكلون هذا الخبز وتشربون هذه الكأس ، تُبَشّرون بموت ابن الإنسان وتعترفون بقيامته ، إلى أن يأتي» (متى ٢٦:٢٧).

إعلانُ حقيقة الإفخارستيّا: ـ

مفعول كلمات الربّ في الإفخارستيّا: ـ

مفعول الروح القدس الذي يجعل من خبز جسد الرب: ـ

ولمّا كان «كلام اللّه حيّاً ونافذاً» و «كلّ ما شاء الرب صنعه» (مزمور ١٣٤:٦). ولمّا كان قد قال: «ليكن النور فكان. ليكن الجَلَد فكان» (تك١:٣و٦). وأنّه «بكلمة الربّ صُنِعَت السماوات وبروح فيه جنودها» (مز٣٢:٦). وإذا كان كلمة اللّه نفسه قد شاء فصار إنساناً وشَخَّصَ لذاته جسداً بلا زرع من الدماء النقيّة والبريئة من العيب ، دماء القديسة العذراء الدائمة البتوليّة مريم ، أفلا يستطيع هو نفسه أن يجعل من الخبز جسده ومن الخمر والماء دَمَه ؟! ثمّ

في البدء قال الربّ: «لتنبت الأرض نباتاً عشباً ... »، وحتى الآن هي لدى هطل المطر ، تُخرج نباتها الخاص مدفوعة ومُسَيَّرة لذلك بالأمر الإلهيّ! وقد قال اللّه: «هذا هو جسدي وهذا هو دمي واصنعوا هذا لذكري وأنَّ هذا يكون بأمره القدير إلى أن يأتي». أجل ، فقد صرَّح هكذا: **إلى أن يأتي**. ثم ينزل المطر على هذا الحقل الجديد ، بواسطة الإستدعاء أي بقوّة الروح القدس المظلّلة. وعلى هذا النحو ، إنّ كلّ ما صنعه اللّه إنما صنعه بفعل الروح القدس ، وهو الآن يعمل كذلك بفعل الروح القدس ما هو فوق الطبيعة وما لا يمكن أن يقبله إلاّ الإيمان وحده. وتقول العذراء القدّيسة: «وكيف يكون لي هذا ، وأنا لا أعرف رجلاً ؟». وتتساءل أنتَ الآن: ـ كيف يصير الخبز جسد المسيح ويصير الخمر والماء دم المسيح ؟ ـ وأنا أقول لك: **يحلُّ الروح القدس ويصنعُ ما يفوق النطق والعقل**.

لماذا يُستعملُ الخبزُ والخمرُ في الإفخارستيّا : ـ

ونحنُ نستعمل الخبز والخمر ، ذلك لأنّ اللّه ـ وقد كان يعرف ضعفنا البشريّ بإنّ الأكثريّة فينا تنفر مستصعبةً ما هو ليس على مألوف عادتها ـ قد استعمل إذاً معنا تنازلَه المعتاد ليُجريَ فينا ما يفوق الطبيعة بما هو من عادة الطبيعة. وقد فعل على هذا النحو في المعموديّة حيثُ العادة لدى البَشر أن يستحمّوا بالماء ويدهنوا بالزيت. وقد أضاف إلى الزيت والماء نعمة الروح القدس وجعل من هذا نفسه حميم إعادة الولادة. وكذلك ، لـمّا كانت عادة الناس أن يأكلوا الخبز ويشربوا الماء والخمر ، فقد أضاف إلى ذلك لاهوتَه وجعل منهما جسده ودمه ، لكي نبلُغَ ـ بما هو من عوائدنا وعلى موجب طبيعتنا ـ إلى ما هو فوق الطبيعة.

في الإفخارستيّا لا يصيرُ تنزيلُ المسيح من السماء بل تحويلُ العناصر: ـ

والقربان إنما هو جسدٌ بالحقيقة متّحد باللاهوت ، وهو الجسد المأخوذ من العذراء القديسة ، ليس على أنّه الجسد الذي كان قد ارتفع إلى السماء ينحدر منها ، بل إنَّ الخبز نفسه والخمر نفسه **يتحوّلان إلى جسد اللّه ودمه**. وإذا تساءلتَ عن الطريقة كيف حدث ذلك، فيكفيك أن تسمع بأنَّ ذلك يتمّ بالروح القدس. وكما أنّ الربّ قد شَخَّصَ لذاته وبذاته جسداً بواسطة الروح القدس من والدة اللّه القدّيسة ، ولسنا نعرف أكثر من ذلك سوى أنّ كلام اللّه صادقٌ ونافذٌ وقديرٌ ولا يمكن تفسير كيفيّته ، غير أنّه ليس مستهجناً أيضاً هذا القول بأنّه ، كما يتحوّل تحويلاً طبيعيّاً الخبز بالأكل والخمر والماء بالشرب إلى جسد ودم الآكل والشارب ، ولا يتحوّلان إلى جسم آخر غير جسمه الأوّل ، كذلك قُل عن خبز التقدمة والخمر والماءِ باستدعاء الروح القدس وحلوله. فإنّهما يتحوّلان تحويلاً يفوق الطبيعة إلى جسد المسيح ودمه. ولا يكونان إثنين ، بل هما واحد وهو هو نفسه.

وعليه يكون لمن يتناوله بإيمان وعن إستحقاق لمغفرة الخطايا وللحياة الأبديّة ولصيانة النفس والجسد. أما للذين يتناولونه عن غير إستحقاق وبدون إيمان ، فيكون لعقابهم وتعذيبهم، شأنه شأن موت الربّ. فهو للمؤمنين حياة وعَدم الفساد ويؤدّيان إلى التمتّع بالسعادة الأبديّة. وهو لجاحدي الرب وقاتليه يكون لعقابٍ وعذاب أبديّين.

القديس يوحنا الدمشقي

جسد الربّ حقيقة وليسَ رمزاً:

ليس الخبز والخمر رمزَيْن لجسد المسيح ودمه ـ **حاشا** ـ بل هو جسد الربّ نفسه متألّهاً ، جسد الربّ الذي يقول هو نفسه: «هذا ليسَ رمز جسدي ، **بل جسدي** ، ولا رمز دمي ، **بل دمي**». وكان قبلاً قد قال لليهود: «إن لم تأكلوا جسد إبن البشر وتشربوا دمه ، فلا حياة في أنفسكم ... لأنّ جسدي مأكل حقيقي ودمي مشرب حقيقي» (يو ٦: ٥٣ـ٥٧). وأيضاً «مَن يأكلني يَحْيَ».

رتبة منح الإفخارستيّا بالأيدي: ـ

لذلك لنتقدّم بكل تهيّب وبضمير نقي وبإيمان لا يتزعزع ، ـ ويكون لنا تماماً كما نؤمن. إذا لم نتردّد ـ ولنكرّمنّ إيّاه بكل نقاوة نفسيّة وجسديّة ، لأنّه مزدوج. لنتقدّمنَّ إليه بشوق مُلتهب ، ممثلين براحتينا شكلَ صليب ونتقبّل جسد المصلوب. ولدى تناولنا الجمرة الإلهيّة ، نضعها على عيوننا وشفاهنا وجبهاتنا ، لكي ـ إذا ما نارُ الشوق التي فينا استمدّت الحرارة من الجمرة ـ تُحرق خطايانا وتُنير قلوبنا ونلتَهب ونتألّه بمساهمة النّار الإلهيّة. فقد أبصرَ أشعياء **جمرة** (أشعياء ٦:٦). والجمرة ليست مجرّد عود ، بل هي عودٌ متّحد بالنّار. كذلك أيضاً خبز الشركة. فهو ليس مجرّد خبز. بل هو خبزٌ متّحدٌ باللاّهوت. والجسد المتّحد باللاّهوت ليس طبيعة واحدة ، بل هو طبيعة الجسد وطبيعة اللاّهوت المتّحد هو به ، حتى إنّ كليهما ليسا طبيعةً واحدة ، بل هما إثنتان.

رموز الإفخارستيّا : ـ

لدى عودة إبراهيم من كَسر أعدائه ، إستقبله ملكيصادق، كاهن اللّه العليّ بخبز وخمر. وكانت تلك المائدة قد سَبَقَت وصَوَّرت المائدة السريّة هذه ، كما أنّ ذاك الكاهن كان رمزاً وصورة للمسيح الكاهن الأعظم الحقيقيّ ، لأنّ النبيّ يقول: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصدق» (مز١١٠: ٤). وخبزات التقدمة تلك كانت صورة لهذا الخبز. هذه هي إذاً الذبيحة الطاهرة أي غير الدمويّة التي تكلّم عنها الربّ بلسان النبي: «إنّها تُقَرَّب له من مشارق الشمس إلى مغاربها». (ملاخي ١: ١١) .

ثمار الإفخارستيّا : ـ

إنّ جسد المسيح ودمه يؤولان إلى قيام نفسنا وجسدنا. **وحاشا** أن يكون ذلك إلى أن يتبدّدا ويَفْسُدا ويصيرا إلى خارج! بل هو إلى تكويننا ووقايتنا من كلّ الأضرار وتطهيرنا من كلّ الأدناس. فإذا وجدا فينا ذهباً مغشوشاً يُنقّيانه بالنّار المطهّرة. لئلا يحكم علينا في المستقبل مع العالم. لأنّهما يُنقّياننا من كلّ الأمراض ومن كلّ عارض يَدهمُنا ، كما يقول الرسول الإلهيّ: «ولو كنّا نَدينُ أنفسنا

لما كُنّا نُدان. وفي دينونتنا هذه إنّما يؤدّبنا الربّ لئلا يُحكَم علينا مع العالم» (١كو١١: ٣١-٣٢). وهذا هو قوله: «لأنّ مَن يأكل ويشرب جسد الربّ ودمه وهو على خلاف الإستحقاق، إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه» (١كو١١: ٢٩). أما إذا تطهّرنا به فنتّحد بجسد الرب وبروحه ونصيرُ جسد المسيح.

خبز المستقبل أو الخبز الجوهري :-
جسد الربّ بمعناه الروحي: -

وهذا الخبز إنما هو مقدمةٌ للخبز المستقبل وهو الجوهري إيبيوسيوس ἐπιούσιος . والجوهري يعني إمّا **الآتي** أي **الدهر الآتي أو المأخوذ لحفظ جوهرنا**. فإن كان هو على هذا النحو أو ذاك، فهو يسمَّى عن جَدارَة جسد الربّ، لأنّ جسد الربّ روحٌ محيي، إذ إنّه قد حُبِل به من الروح المحيي. والمولودُ من الروح روح. وإنما أقولَ هذا، لا لأنفي طبيعة الجسد، بل لأنّي أريد أن أُوضِح ما فيه من قوّة محيّية وإلهيّة.

ما معنى تسمية القديس باسيليوس الكبير الإفخارستيّا تمثيلَ جسد الرب ودمه: -

وإذا كان بعضهم يسمّي أيضاً الخبز والخمر تمثيلاً أو بديلاً أنتيتيبون ἀντίτυπον لجسد الربّ ودمه - كما يفعل ذلك باسيليوس اللابس اللّه - فلا يكون ذلك بعد التقديس، بل هم يسمّونه التقدمة نفسها هكذا، قبل تقديسها.

أسماء الإفخارستيّا الأخرى: -

وتسمّى الإفخارستيّا **تناولاً**، لأنّنا نتناول بها لاهوتَ يسوع وتُسمّى **شركة** - وهي بالحقيقة كذلك - لأنّنا بها نُشرك ذواتنا بالمسيح فنتقبّل جسده ولاهوته. وبها يشترك ويتّحدُ بعضنا مع بعض. ولمّا كُنّا نتناول خبزاً واحداً، فإنّنا نُصبح كلّنا جسد المسيح الواحد ودمه الواحد وبعضنا أعضاء بعض، لأنّنا جسم المسيح الواحد.

لا شركة مع الهراطقة: -

وعليه **فلنحذرْ بكلّ قوّتنا** من أن نقبل تناول الهراطقة أو نمنحهم إيّاه، لأنّ الربّ يقول: «لا تُعطوا القدس للكلاب ولا تُلقوا جواهركم قدّام الخنازير» (متى ٧: ٦). لئلا نصير شركاء في ضلالهم وفي الحُكم عليهم. ولمّا كان إتحادنا **حتماً** إتحاداً بالمسيح، وإتحاد بعضنا ببعض، فنحنُ نتّحد **حتماً** بجميع المتناولين معنا على حسب إختيارنا.

فبدءاً من إختيارنا يصير هذا الإتحاد وليس بدون عَزْمنا. والرسول الإلهيّ يقول: «إنّا نحنُ الكثيرين جسدٌ واحدٌ، لأنّا نشترك جميعاً في الخبز الواحد» (١كو١٠: ١٧).

ملاحظة:- وإذا دُعيَت القرابين أمثال المستقبلات، فليس يعني هذا أنّها ليست جَسد المسيح ودمه، بل ذلك أنّنا الآن نشترك فيها بلاهوت المسيح. أما حينئذٍ فبالمشاهدة العقليّة وحدها.

على من يجوز الإحسان

رَسمَ قدماء المصريين الإحسان بصورة ولد عريان في يده الواحدة قلب، وفي الأخرى عسل يقدّمه لنحلة فاقدة الجناحين.

أما صورة الولد فتدلّ على التواضع والوداعة، وأما القلب في اليد، فيرمز إلى وجوب إتّفاق القلب واليد في العطاء، وأمّا العسل المُقَدَّم للنحلة فيُشير إلى أنّ الإحسان لذيذٌ كالعسل، وأمّا كون النحلة بلا جناحين فإشارة إلى أنّه لا يجوز إلّا لمن لا يقدر على العمل.

المرُوءة والوفاء

عشرة آلاف ليرة أُجرة كأس ماء بارد

سَقَطَ **القائد فديرال** يوم إشتدّت نيران الحرب في فرجينيا أمام صفوف الأعداء مُثْخَناً بالجراح مُخَضّباً بالدماء **يصرخ مُستغيثاً** لجرعة ماء، فَعَطَفَ عليه جنديٌ من عساكر الأعداء إسمه **جيمس مور** من **ولاية يَرك شماليّ كارولينا**، وأتاه بالماء ونيران المدافع وكراتها تتساقط كالأمطار الغزيرة من الفريقَيْن، فأخَذَ أصحاب **جيمس** يحذّرونه من الخطَر ويردعونه عن أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، فلم يلتفت إليهم وظلّ يُسرع إلى عدوّه المستغيث في معمعة الموت الأحمر، حتى بلَغ إليه وكأس الماء بيده فسقاه. وكان مع ذلك القائد الصريع ساعة ذهبيّة فقدّمها للمنعم إليه فأبَى ذاك الجنديّ أَخْذَها، فسأله القائد عن إسمه فَقال إنّه **جيمس مور**. ثمّ رَجعَ **مور** إلى مركزه ولم يرَ أحدهما الآخر بعد ذلك. ثمّ رجع **جيمس مور** من الحرب بعد أن فقد بعض أعضائه في إحدى وقائع الحرب وعاد إلى بيته، ثم مضى عليه سنين عديدة وفي هذه المدّة بلغه خبر من **القائد فديرال** الذي سقاه كأس الماء في ساحة الحرب أنّه وهَبَ له **عشرة آلاف ليرة** جزاء صنيعه يُعطاها مدة أربع سنين أي يأخذ كل سنة ألفين وخمسمائة ليرة. فهوذا كأس ماء بارد لم يُضِع **أجر** الذي قدّمه بعد مدّة طويلة.

إن أصحاب المرؤة لا يبتغون أجرة ومكافئة على مرؤتهم - لأنّ المرؤة لا تُثَمَّن، لكنّ المرؤة تُعدّ لهم مكافئتهم وأجرهم في هذه الدنيا وفي الآخرة.

القديسان الملكان قسطنطين وهيلانة
وبناء كنيسة القيامة - القبر المقدس - في مدينة أورشليم

مطران بيروت الماروني يوسف إلياس الدبس ـ الجزء الثاني من تاريخ سورية الدنيوي والديني ـ المجلد الرابع (صفحة ٢٤٠-٢٤٣) ـ طبع في بيروت سنة ١٨٩٩

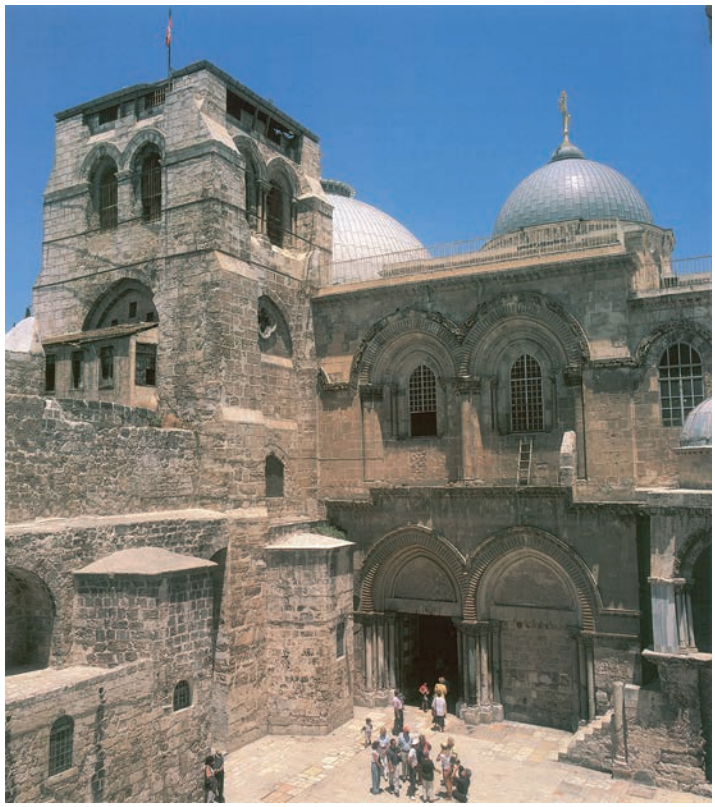

أنبأنا أوسابيوس (ك ٣ فصل ٢٥ وما يليه) ، وسقراط في الكتاب الأوّل من تاريخه (فصل ١٧) ، وسوزومانوس في الكتاب الثاني من تاريخه (فصل ١) ، وتوادوريطس في الكتاب الأوّل من تاريخه (فصل ١٧)، وكان أوسابيوس معاصراً لقسطنطين ومن ندمائه ، وسقراط وتوادوريطس وُلِدا في أواخر القرن الرابع ، وسوزومانوس في بدء القرن الخامس ؛ فكان هؤلاء الثلاثة في عهد قريب مما رووه وثقاة يتيسّر لهم أخذ الخبر عن المعاصرين وقدْ إتَّفَقَت رواياتهم معنىً ، وقَلَّما إختلفَت لَفظاً ، وهاك ملخّص ما أنبأونا به:

«إن **القديسة هيلانة والدة الملك قسطنطين الكبير** ـ مؤسّس الإمبراطوريّة الروميّة ـ شَخَصت إلى أورشليم رغبة في التعبّد وقد ناهزت الثمانين من عمرها ، وكانت أورشليم خربة بحسب نبوّات الأنبياء ، وكان الوثنيّون قد أقاموا في الجلجلة هيكلاً **للمشتري** وتمثالاً **لكوكب الزُّهرة** ليمتنع المسيحيّون من أداء فروض تعبّدهم هناك خشية أن يظنّ أنّهم يكرّمون الزُّهرة بسجودهم ، فلما بلغت الملكة المدينة المقدّسة أنقَت محلّ الجلجلة بنقضها أرجاس الوثنيين ، وأخذت تنقب ثمَّ آملة أن تعثر على الخشبة التي عُلِّقَ المخلّص عليها فحالَت دون مرامها مصاعب ، ولكن ما شاءَهُ اللّه كان مفعولاً فقد أداها جدُّها وثباتها المتواصل وصلوات القديس مكاريوس بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم حينئذ إلى الإهتداء إلى مغارة وُجِدَت بها ثلاثة صلبان **صليب المخلّص** وصليبي اللصين اللذين صُلِبا على يمينه ويساره ، وبقيّ اللُّبس في أيّـها هو صليب المخلّص ؛ فأخذ القديس مكاريوس يضرع إلى اللّه ليزيل اللبس ويبيّن بآيـة أيّـها هو **صليب المسيح** ، وكانت هناك إمرأة شريفة مريضة مرضاً عضالاً يئس الأطباء من برئها منه وكانت حينئذ محتضرة فوضع القديس مكاريوس الصليب الأوّل والثاني علىً رأسها فلم يظهر دليل على إبلاها من دائها ، ولمّـا وضع الصليب الثالث إنتعشت وفتحت عينيها وعاودتها العافيـة في محضر البطريرك والملكة هيلانة وجمهور من الناس ، فمجّد جميعهم اللّه مدهوشين شاكرين ، وَوَجَدَت الملكة هناك الدف الذي علّقه بيلاطس في أعلى صليب المخلّص مكتوباً عليه باللاتينيّة واليونانيّة والعبرانيّة: **يسوع الناصريّ ملك اليهود** والمسامير التي سُمِّرَت فيها يداه ورجلاه ، وَوَضَعَت جزءاً من الصليب في صوان من فضّة تركته فيَ أورشليم ليكرّمه الزائرون ، وأرسلَت الجزء الآخر إلى إبنها **الملك قسطنطين الكبير إمبراطور بلاد الروم**.

قال سقراط الذي كان عائشاً في القسطنطينيّة: إنّ أكثر سكان هذه المدينة يؤكّدون صحة هذا الخبر، وصاغَ **الإمبراطور قسطنطين الكبير** من أحد المسامير **حكمة لجواده** كان يستعملها إبّان الحرب.

وقد كتَبَ حينئذ **الملك قسطنطين** إلى **القديس مكاريوس بطريرك أورشليم** رسالة أثبتها بحروفها توادوريطوس في تاريخه (ك١ فصل ١٦) نلخّصها هنا قال:

﴿ أشكر اللّه على الآيات التي صنعها بإهدائه إليَّ صليبه الذي كان مخفيّاً تحت التراب منذ سنين متطاولة وقد انتقم لعبيده بإهلاك العدوّ لجميعهم وخوّلهم الحريّة في مباشرة فروض دينهم، فتلك نعمة لو اجتمع حكماء المعمورة بأسره في محلٍّ واحد وأجهدوا قرائحهم زماناً طويلاً لَما وَفوا جزءاً من حقّ أداء الشكر عليها ، فإنّها تفوق مدارك البَشر فووق الأمور السماويّة للأمور البشريّة ، ولذلك طالما فكّرت في أنّه كما أنّ اللّه يؤيّد الإيمان الصحيح بآيات متواترة ، فكذلك يلزمنا أن نجدَّ في رعاية سُنَّته المقدّسة والعمل بفروضه بإتفاق وبهجة ، وأرانَي ملتزماً أن أبذل قُصارى عنايتي في إجلال المحلّ المقدّس الذي جرى منه ينبوع خلاصنا ، وقد كان بسماح اللّه عَلَتْهُ أقذار الوثنيّة وعليه فيجدر بحكمتكم أن تبذل كلّ ما في الوسع لإعداد كلّ ما يكون لازماً لإنشاء كنيسة ملكيّة تفوق بجمالها وإتقانها وزُخْرُفها على كلّ ما بُنِيَ من المعابد في المعمور إلى اليوم وتكون أبدَع كنيسة تُبنى في المُدن ، ومأمولنا من قداستكم أن تبيّن لنا بعد محادثة مَن كانوا أهلاً لهذه الأمور كيف يلزم أن تكون الجدران والأعمدة وما هو الرخام اللازم ومن أين يُستأتي أجوده وعلى أيّة هيئة تبنى الكنيسة ، وكم يلزم من الذهب لزُخرُفها ، فإنّ هذا المعبد يقتضي أن لا يكون في العالم أبدع منه ، فَأسرِع بتعريفنا كلّ ما ذُكر ، وأدامَك اللّه سالماً أيّها الأخ العزيز﴾.

وقد عهد الملك قسطنطين بالنظارة على العمل إلى **دريشليانس الوالي** وبإدارة الفَعَلة إلى كاهن من القسطنطينيّة إسمه **أوستاط**، وبُدِيء في البناء **سنة ٣٢٦ ونجز في سنة ٣٣٥** ، وقد خلَّف لنا أوسابيوس (في ك ٣ في ترجمة قسطنطين فصل ٣٤ وما يليه) بيان هيئة هذه الكنيسة وملخّصه أنّه كان أمامها رواق قائم على أعمدة وتليه عَرَصَةٌ فسيحة ، والكنيسة ذات خمس حنايا ومدخلها من جهة المشرق لإقتضاء المحلّ ذلك وفي وسطه قبّة مستديرة مخيّمة على قبر المخلّص ، وتحت الحنية الجنوبيّة الجلجلة حيث ركزّ الصليب ، وتحت العَرَصَة معبد تحت الأرض في محلّ المغارة حيث وَجدَت خشبة الصليب ، وكل ذلك مُتقَن بغريب الصناعة ، مزدان بأثمن المعادن وبأفخر الرخام وأندَره ، والقبر في وسط الكنيسة مُحلًّى بأثمن الحلى ، وأنبأنا القديس كيرلّس بطريرك أورشليم (تعليم ١٤) الذي كان في ذلك القرن أنّ القبرَ كانَ منقوراً في صخر وعلى مدخله رواق إقتضى تزيين المحلّ نقضه كما اقتضى بناء المعبد على الجلجلة تمهيد الصخر المبني المعبد عليه ، وقد كُرِّست هذه الكنيسة الملكيّة **سنة ٣٣٥** ، واستدعى قسطنطين لتكريسها الأساقفة من كلّ صوب ، فَشهدَ هذه الحفلات جمٌّ غفير منهم ، وألوف من الكهنة وربوات من النّاس ؛ ويجدر بنا أن نستقري تاريخ هذه الكنيسة إلى اليوم : أنّ هذه **الدرّة اليتيمة في عقد جيد النصرانيّة** سحقتها ومحقتها يد حدثان الزمان **سنة ٦١٤** فإنّ كسرى الثاني ملك الفُرس حَمَلَ على أورشليم بجحفل جرّار تلك السنة فاحتلّها وأنهبها وأحرقها ودمرّ الكنيسة وأخذ ما كان فيها من خشبة الصليب ، على أنّ كسرى إغتاله إبنه بعد عوده من أورشليم ، **واستظهَرَ هرقل ملك القسطنطينيّة** على إبن كسرى ، وأرغمه أن يردّ عليه تلك الذخيرة بل الكنز الروحي الثمين ، فأعاده بإحتفاء عظيم إلى أورشليم **في الرابع عشر من شهر أيلول سنة ٦٢٩** ، وأقامَه في الكنيسة التي مودست مؤسّس الدير المعروف بدير ثيودوسيوس قد جدّد بناءَها وصيَّرَ مودست بعداً بطريركاً على أورشليم على أنّ هذا الراهب لم يكن له غنى قسطنطين ولا وسائله لإغناء الكنيسة وتحليَتها ، فلم يستَطع أنّ يردّها إلى رونقها وعظمتها السالفة ، بل اقتصَر على أن يبني هناك أربع كنائس صغيرة إحداها في جانب الأخرى يجمعها سورٌ وبينها عَرَصَة مُبلَّطة بالرخام وأولاها كنيسة القيامة وفيها القبر المقدّس ، والثانية كنيسة الجلجلة مبنيّة على محل الصليب والثالثة كنيسة خشبة الصليب أي حيثُ وُجدَت هذه الخشبة الكريمة ، وكان يسمّيها الحجّاج غالباً **مرتيريون** أي الشهادة على آلام المخلّص وموته ، والرابعة كنيسة العذراء لم يُعيّن محلّها بتوكيد ، ولكن قيل أنّها كانت مبنيّة على الصخرة التي دُهن عليها جسد المخلّص بالطيب ، ولم تكن جحافل كسرى محقَت أسس كنيسة الملك قسطنطين المعادل الرُسل ، بل بقي منها ما استعان به مودست على تجديد بنائها.

ἀγρυπνέω
أغريپنيّو agrypneo
يسهر، ساهر، سَهَر، حارس، إستمرّ بالمراقبة، عناية.

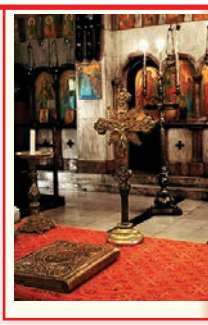

في اليونانية الكلاسيكيّة وفي العهد القديم ، يُقصَد بكلمة أغريپنيو: «**ظلّ صاحياً**»، وأن **يكون يقظاً** والإسم ***agrypnia*** **يعني إنعدام النوم** عادة مصحوباً بالأرق. وفي الترجمة السبعينيّة ، يرد الفعل ١١مرّة ، عادة بمعنى السَّهر أو السُهاد (أي٢١:٣٢ ، مز١٠١:٧ ، ١٢٦:١).

في العهد الجديد ضمن سياق حديثه الأخروي ، كلَّفَ يسوع تلاميذه لكي يكونوا في حالة **ترقّب وسَهَر** (مر١٣:٣٣ ؛ لو٢١:٣٦) يرد تنبيه مماثل في (أفسس٦:١٨).

في ذروة الحديث عن درع المسيحيّ: فالمؤمنون يجب أن يكونوا : «ساهرين ... بكل مواظبة وطلبة». لأنّ قوّات الشرّ الروحيّة تهدّد حياتهم الأخلاقيّة والروحيّة بإستمرار. وفي عبرانيين ١٣:١٧يحثُّ الكاتب على طاعة قيادة الكنيسة: «لأنّهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنّهم سوفَ يُعطونَ حساباً». ترد كلمة ***agrypnia*** في صيغة الجمع في رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٢كو٦:٥ ؛ ١١:٢٧). حيثُ تشير إلى «**مراقبة**» بولس و «**أسهاره**» التي تحمّلها من أجل الكنيسة.

الكلمات الخالدة

الأخلاق

للمرء مظهران مظهر ماديّ وهو الوجه ، ومظهر روحي وهو الأخلاق.

فالمظهر الماديّ أو الوجه قد يكون باشّاً طَلقاً ، وقد يكون عَبوساً قبيحاً . فثانيهما يمكن ستره بوجه مُستعار يَغطّي عبوسته فيصير باشّاً محبوباً ، ولكن بأيّ وجه نغطّي المظهر الروحيّ ، وهل ثمَّ شيء يستر الأخلاق إلاّ تدميثها وتعويدها الحسن ، وبناء على هذا يكون الإنسان إبن الأخلاق ولا يكون الإنسان إنساناً إلاّ بأخلاقه الفاضلة.

وكما أنّ مظهر الفرد هو أخلاقه ، فمظهر الأمّة هو أخلاقها أيضاً لأنّ الأمّة هي المجتمع.

فالأخلاقيّون مثلاً يحكمون على أُمّـة بالخفّـة والطيش لأنّهم يرون في السواد الأعظم من أبنائها ميلاً إلى التيه والدلال والنزق. ويحكمون على أُمّـة أخرى بالرزانة والثبات لما يرونه في أبنائها من الدِعة والهدوء مع العمل. فأخلاق أُمّـة هو عنوانها.

يقول كثيرون إن قدر الإنسان موقوف على مبلغ علمه. هذا قول حسن. ولكن هب أنّ إنساناً واسع الإطّلاع طويل البّاع في صدره دفائن علم إلاّ أنّه ساقط الأخلاق والمبدأ. أينفع الإنسانيّة شخص كهذا ؟ وهل نعدّه إنساناً بكل معنى الكلمة التي تدور في خلدنا. نقول هذا بوجه عام فإنّ لكلّ قاعدة شوارد وشذوذاً. وممّا أبانته قرائن الأحوال وكرور الأزمان أنّ النفس الفاضلة المترفّعة عن الدنايا هي بنت الأخلاق الكريمة الراقية وتعرف بحُسن سير صاحبها وبقويم مبدأه. فإسداء المعروف وإغاثة الملهوف ثمرة من ثمار النفس الفاضلة وبناءً على هذا أقول أن الإنسان الذي يذّخر علماً في صدره ويكون مُجَرّداً عن الأخلاق الفاضلة تكون نفسه سَاقطة وقَلّما تنفع ، بل تقتل صاحبها بخيلائها وإنتفاخها باطلاً.

نرى كثيرين من الذين تقلّدوا مناصب عالية وملأوا فراغاً واسعاً في دائرة المجتمع الإنسانيّ يأدّون أعمالاً شائنة يترفّع عنها الذين نضجت أخلاقهم الحسنة القويمة ونهضت بهم نفوسهم إلى الترفّع عما يشين السمعة والصيت. لو نظر أولئك إلى أعمالهم لأشاحوا بوجوههم خزياً واستيحاء.

فالأخلاق الرضيّة أفضل من العلم بل هي ترفع صاحبها عن إرتكاب الدَنايا ، وتُنهضه إلى طلب الكَمال. فالواجب إذاً على كلّ أُمّـة أن تعني أولاً بالتربية الصحيحة ، ونعني بهذه التربية غَرس الأخلاق الفاضلة في أبنائها ، فمتى غرست وجاءت التربية العلميّة بعدها وجدت تُربة صالحة لأن تنمو فيها وتثمر ثمراً شهيّـاً.

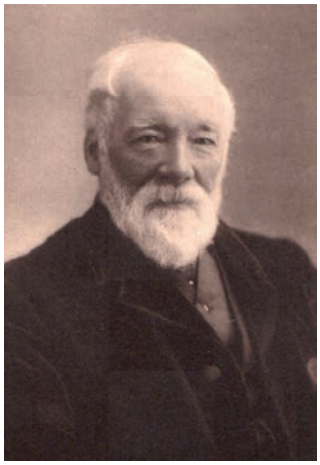

« الآداب والأخلاق أهمّ من الشرائع ، لأنّ الشرائع لا تتبعنا دائماً ، أمّا الآداب والأخلاق فمعنا في كلّ حين »

(صموئيل صميلز)

وخير تربية للأولاد يجب أن تكون في دوريّ الصغَر والصبا ، وذلك قبل أن تتسرّب إلى النفس عوامل الفَساد من: **نَزق وطيَش وإندفاع الأهواء المُضرّة** لأنّها إذا لم تتعوّد الأخلاق الفاضلة ، وتشبّ عليها في ذينك الدورين ، إستعصَت ولم تَعُد قابلة للتثقيف والترويض.

فالنفس في زمن الطفوليّة والصبوة تكون صفحة بيضاء تنطبع عليه الرسوم ، وقد شبّهوها بالصفحة التي يرسم عليها المصوّر الرسوم ، فله أن يرسم عليها صورة **شيطان رجيم** ، أو **ملك كريم**. أو كقطعة شمع لَدن يحوّلها الصانع إلى تمثال للطُهر والعَفاف ، أو إلى تمثال قبيح لا تَريد العين أن تراه.

فنفس الصبيّ مَرنة ليّنة يستطيع الوالد والمعلّم أن يرسما عليها ما يشاءان. ومن أقدس الأمور وأشدّها لزوماً غرس بذور الأخلاق الفاضلة فيها منذ الطفوليّة إلى حين الخروج من مدرسة التعليم إلى مدرسة العالم.

على أنّ تربية الأخلاق لا تكون بالإرشاد وحده بل بالإرشاد المقرون بالمثل الصالح ، ومعنى ذلك أنّ الوالد أو المعلّم يجب أن يرشد الصبيّ بالوعظ والتعليم ، وأن يكون هو في ذلك الحين مثالاً لإبنه أو تلميذه في أخلاقه الكريمه ـ الوالد في بيته والمعلّم في مدرسته.

يرى علماء الأخلاق أن للمعاشرة والمخالطة تأثيراً عظيماً في الأخلاق من حيث الإقتداء ، فالواجب على الوالد أن لا يترك لإبنه **الحبل على الغارب** لا يعلم أين يذهب بكرة وأصيلا ، ولا كيف يقضي أوقات فراغه. لأنّه إذا تركه على هذه الحال عاشَرَ قرناء السوء الذين يفسدون أخلاقه.

يقول بعض الوالدين أنّه غير مُطالب بمراقبة أخلاق إبنه وسيره مادام قائماً بنفقة تعليمه في المدارس. وهذا قول فاسد ووهمٌ باطل ، لأنّ الوالد مسؤول عن سير إبنه **أمام اللّه ونفسه وأمّتـه** ، إذ المدرسة لا يُطلَب منها أن تقيم حُرّاساً على التلاميذ وهم في خارجها فحراسة الطالب ومراقبة سيره في خارج المدرسة مُلقاةٌ على عاتق والده.

لو سألنا واحداً من الذين درسوا أدوار إرتقاء الأمم وإنحطاطها: ما الذي تحتاج إليه الأُمّـة الضعيفة لكي تصير أُمّـة راقية لها مقام

رفيع بين سائر الأمم ، لأجاب فوراً: **ربّوا أبناءها على الأخلاق القويمة ، هذّبوهم وثقّفوا عقولهم بالعلوم**. وعلمٌ بلا أخلاق كريمة لايفيد النفس شيئاً كالبناء الضعيف إذا هَبّت عليه الإعصار هوى على أصحابه.

فعلى والديّ الأطفال أن يربّوا أولادهم على الأخلاق القويمة ، وعلى الشبّان أن يسعوا جهدهم لتكون سيرتهم محمودة وأخلاقهم كريمة وآدابهم سامية راقية ، فهذان الأمران يُنهضان بالأُمّـة إلى الإرتقـاء وبالبلاد إلى الإسعاد. وليس ثَمَّ سلاح لنا أمضى وأمتن من سلاح الأخلاق الفاضلة.

ولو شئنا لعدّدنا كثيراً من أقوال فلاسفة العمران وعلماء الأخلاق على صحّة هذا المبدأ الذي نحن بصدده. ونكتفي بما قالته **جريدة التيّمس اللندنيّة** في بحث أخلاقيّ وهو:

THE TIMES

22 | News

Pub culture

When your local has praises like this to sing, who needs a juke box?

- Old-fashioned inn is named best in Britain
- Landlord refuses to be swayed by fashion

«إنّ الذي يرفع البلاد ويقوّيها ويُعَظّمها ويمدّ سطوتها الماديّـة والأدبيّـة ويجعلها محترمة مُطاعة ويُخضَع لها أُمَماً وممالك هو: الأدب مبدأ الطاعة وأساس العظمة وتاج الرئاسة وعرش السلطة وصولجان القوّة» .

فلا ينسَ أحدٌ ذلك ولا تنسَ أيّها الوالد أن تسهر على أخلاق إبنك إذا أردت الخير له ولكَ ولبلادك.

April
شهر نيسان

هو إسم لشهر نيسان بالإفرنجيّة ،وربّما عمّ فيما بعد إستعمال الأشهر بالإفرنجيّة عند أهل الشرق عامّةً ، وهو الشهر الرابع من السنة المسيحيّة وأيامه ٣٠ يوماً ، وكان الشهرالثاني من السنة الرومانيّة وكانت أيّامه ٢٩ يوماً فأضاف إليه يوليوس قيصر يوماً ، وكان يدعى في أيام نيرون قيصر **نيرونيوس** ، ويظن قومٌ أنّ إسمه الإفرجي مأخوذ من لفظة **أبريري** ، ومعناها **فَتَحَ** ، سُمّيَ بذلك لأنّ الزهور تتفتّح فيه ، وقد دعاه شارلمان في رزنامته الجديدة شهر الحشيش ـ ومن المعروف تاريخياً دور شارلمان السلبي ضدّ الإيمان الرومي الأرثوذكسي الذي كان في غرب أوربا ، واستبدال الإيمان الحقيقي المُعلن من السماء ، بمفاهيم غربيّة دخيلة ـ ولا يزال الدانيماركيون يسمّونه بهذا الإسم، ويرمز عنه على الآثار القديمة بشابّ يرقص وبيده جرس. واليوم الأوّل من هذا الشهر يُسَمّى باللغة الإنكليزيّة بما ترجمته **بيوم أحمق أبريل (April fool's day)** ، ولكن عادة إرسال بعض أشخاص بإرساليات فارغة والضحك عليهم هي جارية في كل بلاد أوروبا وقد امتدّت إلى أمريكا وبعض أماكن من الشرق ، حيثُ تسمّى عندنا كذبة أوّل نيسان، ويسمي الفرنسيون مَن يُصطاد بهذه الحيلة بما معناه **سمك أبريل** ، يريدون بذلك أنّه يسهل صيدهُ ويسمّونه في إسكوتلندا بالكوكو وهو طائر يسهل قنصه. وقيل هي تذكار لأرسال المسيح من هيرودوس ألى بيلاطس إلى قيافا ، وبه كذبة التهمة الموّجهة إلى السيّد المسيح.

عن دائرة المعارف - المعلم بطرس البستاني

إيبتانوميذة Heptanomide

كلمتان يونانيّتان معناهما المقاطعات السبع . وهو إسم كان يُطلق في القديم على مصر الوسطى. أي على المقاطعات السبع الواقعة في أواسط بلاد مصر وهي بين الصعيد والبحيرة، وهذه المقاطعات المذكورة:

١) منفيس ٢) كروكو ذيلوبوليتس
هرقليوبوليتس ٤) إفروذيتوبوليتس
٥) إكسي نشيتس ٦) كينوبوليتس
٧) هرموبوليتس. وعاصمتها مدينة منفيس . وفي أيام تولّي الرومان على مصر أضيفَت إليها مقاطعات ثلاث وهي: أنطينوئيتس، والواحة الكبرى، والواحة الصغرى. وكانوا يضيفون أحياناً إليها غيرها مما كان غالباً يتبع الصعيد كليكوبوليتس وأفروذيتوبوليتس وهي غير الأولى وبانوبوليتس وغرها، هذا يوضح إنتشار الثقافة اليونانيّة في الشرق نتيجة فتوحات **الإسكندر الكبير**.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٣٠)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة :

الخروج من مصر:

«ويكون لكم **الدمّ** علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى **الدمّ** وأعبر عنكُمُ .. ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيّدونه عيداً للربّ ، في أجيالكم تعيّدونه فريضة أبديّة» (خر١٢:١٣-١٤).

كانت مراسيم خروف الفصح هي الفريضة التي تمّت بها نجاة الإسرائيليين ، وكان **الدمّ** علامة لخلاصهم ، وظلّ الشعب يحفظ عيد الفصح طوال تاريخ إسرائيل عدا فترات السبيّ والتشتّت ، ومازال اليهود يتذكّرون هذا العيد حتى أيامنا ويحتفلون به وإن كانوا يمارسونه بطريقة أخرى.

والفصح هو مفتاح العهد القديم ، وفي الإحتفال به يؤكّد الآباء لأبنائهم على قصّة الخروج من مصرَ والعُتق من العبوديّة تأكيداً للفصح الحقيقيّ (١كو٥:٧) ، وإذا تأمّلنا في فترة إغتراب إسرائيل في مصرَ نجد أنّ بها نتائج هامّة سواء من الناحية الإيجابيّة التي أفادت الشعب ، أو من الناحية السلبيّة التي أضرّت بسلوكيّاته، والنتائج التي حقّقتها العبوديّة بالرغم من مرارتها وقسوتها كانت ذات أثر مباشر إذ ولدت لإسرائيل أمّـة ، فإنّهم دخلوا مصرَ وهم آتين من كنعان إثنتا عشرة عشيرة لا تتعدّى الألفين ، وخرجوا من مصرَ ست مئة ألف رجل أي أنّ الشعب بجملته بما فيه من النساء والأطفال لا يقل عن المليونين ، فلو أنّهم إستمرّوا يعيشون في كنعان ولم يذهبوا إلى مصرَ فمن المؤكّد أنّهم كانوا سيتشتّتون إلى إثنتي عشرة قبيلة متجوّلة ، أما إقامتهم في تلك الأرض المزدحمة بالسكّان مع عزلتهم وحدهم في أرض جاسان قد ساعدت على تحوّلهم إلى أُمّـة ، ومن النتائج الهامّـة لتغرّبهم تلك الحضارة الزّاهرة التي كانوا يُعايشونها في مصرَ ، فنُقِلَت إليهم الحضارة والثقافة والتي إستفادوا منها جداً وظهرَت فيما بعد في إقامة خيمة الإجتماع ، ففي مدنيّة مصرَ تعلّموا الفنون والزخارف والكتابة بعد أن كانوا يحيون حياة القبائل البسيطة ، لكن ليس من شكّ أنّـه أصابهم بعض الضرر من جراء تسرّب أفكار وعادات مصريّة إلى الشعب ، فقد تأثّرت إقامـة إسرائيل في مصرَ بالمصريين وخاصّة عبادة المصريين ، وهذا التأثير السيء يحتاج سنوات ليمحو تأثيره ، ولكي يكون الشعب نقيّاً عليه أن يجتاز فترة طويلة لإعداده في البريّة حتى يتطهّر بما تسرّب إليه من الوثنيين والتي أشار إليها يشوع بن نون «إنزعوا الآلهة الذين عبدَهُم أباؤكم في مصرَ» (يش٢٤:١٤).

طريق الخروج :

« فدعا فرعون موسى وهرون ليلاً ، وقال قوموا أخرجوا من بين شعبي..» (خر١٢:٣١) ، بعد أن حلّت الضربة العظيمة من الملاك المُهلك على المصريين ، سمح فرعون للشعب أن يخرج من مصرَ ، وبسبب الآلام والأحزان التي حلّت بالمصريين ألحّوا على الشعب أن يخرجوا خوفاً على حياتهم ، وانتهز بنو إسرائيل فرصة ضعف نفوس المصريين وهلعهم فطلبوا منهم ثياباً وفضّة وذهباً حتى سلبوا المصريين.

حلى من الذهب والأحجار الكريمة والفضّة من مصر القديمة (خر١٢:٣٥)

وارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس مكان إقامتهم في جاسان بأرض مصر ، ولم ينسوا أن يحملوا معهم عظام يوسف جدّهم العظيم (خر١٣:١٩). ولكن أي مكان يتوجّهون إليه؟! وأي طريق يسلكونه؟!

لقد كان أمامهم طريقان: أولهما طريق السهل الساحلي أو ما يسمّى بطريق البحر ، وهو طريق سهل ومباشر إذ يسير بحذاء ساحل البحر الكبير (البحر المتوسّط) ويمتد من مصر إلى لبنان وسوريا ماراً بفلسطين.

وطريق القوافل وهو وإن كان أطوَل في رحلته عن السّابق وأكثر صعوبة بسبب مروره في الصحراء ، لكنّه طريق مطروق تعوّدت عليه القبائل الآتية من بلاد الإسماعيليين للسير فيه.

ولكن لم يكن هذان الطريقان ملائمين لرحلة الشعب فإنّ موسى لم يتّخذ طريق الساحل وهو يعلم أنّه إذا سار فيه الشعب لما إستغرقوا وقتاً طويلاً ، ولكن بسبب خوفهم أن يطاردهم فرعون وخاصّة أنّه طريق يسلكه جيش مصرَ مراراً ، وبه حاميات عسكريّة مصريّة تحرس الطريق ، كما أنّهم لم يكونوا في إستعداد لملاقاة قوى الفلسطينيين والذين كانوا يستولون على الساحل ويسيطرون على منافذ الطُرق ، أما طريق القوافل وإن كان فيه يأمنون من الفلسطينيين ، لكنّهم بسبب ضعفهم وارتخاء نفوسهم في الرحلة كان من السهل إرتدادهم وعودتهم إلى مصرَ. لذلك أمرهم اللّه أن يتّجهوا إلى سيناء (خر١٣:١٧).

يتبع

تذكار القديس يوحنا الروسي ، ٥/٢٧ ش - ٢٠١١/٦/٩ غ

القديس يوحنا الروسي الصانع العجائب

المبنى لكِ وهي من عجائب القديس يوحنا الروسي المميّزة

رفات القديس يوحنا الروسي

وُلِدَ القديس يوحنا الروسيّ في روسيا سنة ١٦٩٠ . أسرَ في الحرب الروسيّة التركيّة سنة ١٧١١ ؛ بيعَ كعبد لرئيس الفرسان في بلدة بروكوبيو ، نال من الإضطهاد والعذابات والضربَ ألواناً. حافَظَ على إيمانه الأرثوذكسي. إنتقل وله من العمر ٤٠ عاماً. بقي جسده بدون فساد. نُقِلَ إلى بروكوبي في إيڤيا باليونان. وهو مسجّى في الكنيسة التي تحمل اسمه.

طروبارية القدّيس يوحنا الروسي : إنّ الذي دعاك من الأرض إلى المساكن السماويّة ، حفظ جسَدَك بعد الموت سالماً أيها المغبوط ، لأنّك ، يا يوحنا ، وأنت مأسورٌ في آسيا ، حافظت على محبّتك للمسيح ، فإليه تضرّع أن يخلّص نفوسنا.

جمعها الأب يوحنا فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي - إيڤيا

إن السيدة آريتي وإبنتها الوحيدة كَرَيْسا لم تستطيعا أن تشفيا من موت الزوج والوالد المبكر، عندما وجدتا نفسيهما مضطرتين أن تواجها الجوع الشديد والاستغلال الإنساني. فإن إخوة الميت الثلاثة تقدموا بدعوى أمام قاضي محكمة أثينا تختصّ بملكية قيمتها العديد من ملايين الدراخمات في وسط أثينا ورثتها السيدة آريتي من زوجها. وكان الأخوة الثلاثة قد أخذوا حصصهم من الميراث، ولكنهم كانوا يعرفون أن بعض الأمور القانونية كانت ما تزال عالقة، ففكروا بأن يستفيدوا من هذه الحالة ومن موت أخيهم وجاؤوا بمقتضى ذلك بتكليف أمام المحكمة. وأبرمَت القضية ومنحت المحكمة البناء للإخوة. **وقد أيقنت الأم وابنتها بأنهما يعيشان في غابة حيث القوي يأكل الضعيف**. وبما أنهما لا يملكان أية ملكية أخرى فقد قرّرتا أن ترفعا دعوى ضد القرار مستخدمتين كل المال الذي كانتا تملكانه في المصرف. لقد كان البناء من حقهما لإن زوج السيد آريتي لم يبنيه فقط من عرق جبينه بل كان ضمان مستقبلهما. ورفعتا دعوتهما إلى المحكمة الابتدائية ولكنهما خسرتا من جديد. ثم أخذتا الدعوى إلى محكمة الإستئناف وأيضاً كان قرار تلك المحكمة ضدّهما. فلم يعد لديهما الخيار إلاّ أن تلتجئا إلى المحكمة العليا في اليونان، محكمة الإستئناف الأعلى.

وفي ليل الثلاثاء كانت الأم والإبنة تفكران بكل صعوباتهما الحالية وبمستقبلهما غير الأكيد. وبعد ثلاث محاكمات مضادّة لم تستطيعا أن تريا شعاع نور أو أن تؤمنا بأن صباح الغد سيجلب لهما العدالة. فقد كان قلباهما مثقلين بسلوك أقربائهما الإجرامي وبطريقة تعاملهم فلم تستطيعا أن تبقيا صامتتين. وأكثر من ذلك، فإن محاميهما كان مسافراً لدعوى غير منتظرة.

وحوالي الساعة الثانية والنصف صباحاً ذهبتا إلى الفراش وأعصابهما متوترة. وفي حلم، تصورت السيدة آريتي نفسها بحالة جامحة كلياً وبأنها كانت تتوعد أخت زوجها. ثم شاهدت شاباً لا تعرفه يقترب منها بوجه سلامي. فهدّأها وقال لها: «إن البناء هو لك. لقد سويتُ المسألة. فعندما تكونين في خطر تطلبين مساعدة اللهَ ومساعدة قديسيه. **أنا يوحنا الروسي**. إذهبي إلى المحكمة في الغد».

واستيقظت السيدة آريتي. لم يعد بإمكانها أو بإمكان ابنتها أن تناما أكثر لأنهما كانتا تشعران بأنهما **وحيدتين، مظلومتين، مكروبتين** ولكن صلّتا على رجاء. وفي صباح الغد كان المحامي الذي عاد خصيصاً من أجل القضية يعطيهما النصيحة في الرواق خارج قاعة المحكمة قائلاً لهما بأن تبقيا شجاعتين وتلزما الهدوء ورباطة الجأش. ولكن كيف استطاع أن يعرف الأمل السرّي الذي كانتا تختزنانه في قلبيهما؟ أتى قرار المحكمة العليا بأن البناء هو خاصة أرملة المتوفي وابنته «**قانونياً وبكامله**».

عندما جاءت المرأتان إلى كنيسة القديس يوحنا قالتا لي: «أبت! نحن لا نعرف القديس يوحنا قبلاً. نحن نصلّي ولدينا أب روحي ونتناول الأسرار المقدسة ولكننا لم نأتي إلى هنا أبداً ولا صلينا إلى القديس يوحنا أبداً. كيف يحصل يا أبت أن القديسين يعرفون عنا ويتحركون بيننا ويدركون اهتماماتنا؟» ، فعجيبٌ اللّٰه في قديسيه «لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك» (لو٤: ١٠).

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة الأحتفال بعيد القديسة فوتيني ٢٠١١/٥/٢٢

«إنّ السامريّة الشائعة الذكّر أتت مقبلة بأمانة إلى البئر ، فشاهَدتك يا ماء الحكمة التي لما سُقِيَتْ منك باتراعٍ ورثت الملكوت العلويّ أبديّاً» (قنداق العيد).

أيّها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع
أيّها الزوّار الحسني العبادة

إنّ معنى العيد في هذا اليوم الخاصّ بالمرأة السامريّة، وكما وُصِفَ بوضوح في إنجيل القديس يوحنا الإنجيلي: إذ يقول الرب يسوع المسيح للمرأة السامريّة: «ولكن مَن يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبديّة» (يو٤:١٤).

إنّ الذي سيشرب من الماء الذي أنا أعطيه لن يعطش إلى الأبد ، لكن هذا الماء الذي سوفَ أعطيه إيّاه سيتحوّل داخله إلى ينبوع ماء لا ينضُب، أنّما سيتَفَجّر ويَطْفَر جارياً باستمرار ، مخوّلاً إيّاهُ الحياة الأبديّة.

ما هو الماء الذي وَعَدَ به المسيح المرأة السامريّة ؟؟

إنّه ماء الحكمة ، أي (الحكمة الإلهيّة). الحكمة الإلهيّة هي تماماً المسيّا. **فالنبيّ أشعياء البوق الإلهيّ العظيم تنبّأ قائلاً:** «ويحلّ عليه روح الربّ ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوّة ، روح المعرفة ومخافة الربّ» (أش١١:٢). وحسب شهادة الرسول بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس يقول جهاراً : «ولكنّنا نحنُ نكرز بالمسيح مصلوباً ... فالمسيح قوّة اللّه وحكمة اللّه» (١كو١:٢٣-٢٤).

بالنسبة لقوّة اللّه وحكمة اللّه أيّها الأحباء بالربّ ، هي ليست إلاّ الروح القدس الذي ينبثق من الآب ويستقرّ مستريحاً بالإبن. هذا هو روح ابن اللّه الذي يُغدقه المسيح كماء إلى المرأة السامريّة ، ولكل نفسٍ عطشى ولكل المواسم الفصول ، كما يقول مرنّم الكنيسة:

«إنّ الكلمة المساوي للأله الآب في الأزليّة الصانع الكل والرازق الحياة قد إتّخذ جسداً من البتول وصارَ إنساناً باختياره وبما أنّه صالح أفاض للكل تعاليم الحكمة التي لا توصف. مَن كان عطشاناً فَليَفِد إلَيَّ ويشرب ، والذي يؤمن بي يجري من بطنه أنهار ماء حياة الروح الإلهيّ».

هذا الماء يصير للذي يشربه ينبوع ماء (يو٤:١٤) ، يختلف من الماء العادي الطبيعي من بئر يعقوب البطريرك ، بسبب قول ـ مفسّر كلمة الربّ ـ أعطى ماءً للسامريين عامة ، فالذين يرتشفونه سوفَ يعطشون ثانية. ولكن في المقابل الماء الروحيّ المتدفّق من المسيح ... «قادرٌ (للشارب منه) أن يصير ينبوع ماء لا ينضب، مُعطياً مياهً خَلاصيّة».

فعلاً أيّها الأخوة الأحباء : هبة المسيح لا تُقَدَّر بثمن، فعندما نقارن حكمة المسيح مع حكمة العالم وأموره ، يظهر لنا بأجلى بيان أنّ حكمة المسيح أصلاً تعلو علوّاً كبيراً ، فوق حكمة العالم ، إذ لا مجال للمقارنة بينهما إطلاقاً.

بكلام آخَر: المسيح أروَى وأراحَ روح النفس العطشى ، فلم يطرد العطاش للروح إنّما دَفعهم إلى حدّ الكمال، أي واَهباً روحه القدّوس ، الينبوع الداخلي الذي لا ينضب مروياً هؤلاء العطاش للروح بشكلٍ مستمر وتلقائيّ.

نرى ما يقوله **القديس أغناطيوس الحامل اللاهوت** بهذا الرباط في رسالته إلى رومية : « إنّ رغبتي الأرضيّة قد صُلِبَت ولَم يَتَبَقَّ فيَّ أي نار لأحبّ المادة ، لا يوجَد فيَّ غير "ماء حيّ" يدمدم في أعماقي ويقول تعال إلى اللّه الآب ، لم يعد يروقني غذاء الفساد ولا تغريني ملذات الحياة ، إني أريد خبز اللّه الخبز السماوي ، خبز الحياة الذي هو بشر يسوع المسيح إبن اللّه الذي أتى في ملء الزمان من نسل داود وابراهيم ، إني أريد شرابي دمه الذي هو المحبّة غير الفاسدة والحياة الأبديّة».

هذه بالتدقيق محبّة المسيح التي أُنعمت على المرأة (المتحرّرة) في عصرها كما ذُكر ، أي المرأة السامريّة . ، والتي كانت تفتقر إليها ولم تجدها ـ من الرجال الخمسة ـ فهؤلاء الرجال لم يحقّقوا رغباتها. في المقابل ، فقد قَطَّرَ المسيح في قَلبها الحبّ الإلهيّ مقدّماً لها المحبّة غير الفاسدة.

وَجَدَت السامريّة في شخص المسيح ينبوع الحياة ، وجَدَت ينبوع المحبّة الحقيقة التي حسب الحكيم بولس «لا تطلب ما لنفسها ... ولا تظنّ السوء ... المحبّة لا تسقط أبداً» (١كو١٣:٥-٨).

حقّقت السامريّة محبّة غير فاسدة للمسيح من خلال موتها الإستشهادي ، هكذا أصبحت جسماً واحداً ودماً واحداً مع ربنا يسوع المسيح المصلوب والمُقام بقوة سلطانه .

أيّها الأخوة الأحباء

إنّ الشيء المميّز بلقاء المسيح مع السامريّة في هذا المكان المقدّس بئر يعقوب ؛ هو الحدَث بأنّ المسيح يكرز قائلاً : اللّه روح والساجدون له ينبغي لهم أن يسجدوا بالروح والحق ، كذلك يكشف أنّه المسيّا الآتي والمنتظَر.

القديسة الشهيدة العظيمة فوتيني التي نكرّمها اليوم أي المرأة السامريّة تدعونا وبنفس الوقت تَحُضّنا لكي نقتدي بها ، ليس فقط من خلال الإعتراف بالمسيح ، لكن بالطريقة الخاصّة والمميّزة التي أعلن المسيح فيها أنّه بالروح والحقّ يجب أن نسجد للّه، وهذا لأنّ الحقيقة بالمسيح هي ليست السيطرة على القوى الفكريّة للإنسان، لكن هو إستعلان اللّه لها.

هذا هو كلمة اللّه المتجسّد، هو بالحقيقة المسيح المصلوب والمُقام . هذا هو نور وحياة العالم.

المسيح قام حقّاً قام

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

من أقوال القديس يوحنّا الذهبيّ الفم عن لقاء السيّد المسيح بالمرأة السامريّة

✚ لم يمض من اليهوديّة إلى الجليل بلا هدف ، وإنّما لينجز أموراً هامّة مَعيّنة بين السامريين ... بحكمة خاصّة به ... مُظهراً أنّه قام بهذا العمل العَرضي أثناء الرحلة. وذلك كما فعل الرُسل أيضاً ، فعندما إضطهدهم اليهود ذهبوا في الحال إلى الأمم ، هكذا السيّد المسيح أيضاً عندما طرده اليهود إلتقَى بالسامريين وهكذا فعل مع المرأة الفينيقيّة. هذا كلّه حدَث حتى لا يكون **لليهود عذرٌ** ، ولا يمكنهم القول: «لقد تركَنَا وذهَبَ إلى أهل الغرلة» . لقد وجد التلاميذ لأنفسهم عذراً ، قائلين: «كان يجب أن تُكَلّموا أنتم أولاً بكلمة اللّه ، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنّكم غير مستحقين للحياة الأبديّة هوذا نتوجّه إلى الأمم» (أعمال ١٣:٤٦). عندما طردوه ، فتحوا باباً للأمم. لم يذهب إلى الأمم فوراً وإنما أثناء عبوره.

✚ لعلّك تسأل: لمَ دقّق البشير في وصف المكان ؟ حتى إذا سمعت المرأة قائلةَ: «ألعلّك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر ؟» لا تستغرب قولها. فإنّ هذا هو المكان الذي فيه غضب لاوي وشمعون بسبب دينا ، وصنعوا مذبحة عنيفة ... لم يستخدم السامريون كل الأسفار المقدّسة ، بل قبلوا كتابات موسى وحدها مع القليل من كتب الأنبياء. لكنهم كانوا مشتاقين إلى إقحام أنفسهم في السلالة اليهوديّة الشريفة ، فيعتزّون بإبراهيم ويدعونه أباهم ، إذ هم من الكلدانيين ، ودعوا يعقوب أباهم بكونه من نسله. أما اليهود فكانوا يمقتونهم بشدّة كسائر الأمم. لذلك وبّخوا المسيح بالقول: «أنت سامري وبك شيطان» (يو٨:٤٨).

✚ جاء المسيح إلى هذا الموضع متجنّباً الحياة الرَغدَة، سالكاً الطريق المتعب مجاهداً ، لأنّه لم يستعمل حميراً في هَذا السفَر ، لكنّه مشى بقدميه كثيراً جداً حتى تعب من سفَره. وهذا بالفعل يعلّمنا إيّاه في كلّ موضع ، أن نعمل مجاهدين لأجل إحتياجاتنا دون الكماليات ، فلهذا السبب قال: «للثعالب أوجرة ، ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (متى ٨:٢٠). ولأجل هذا الغرض كان يقيم أكثر أوقاته في الجبال والبراري ، ليس في النهار فقط، بل وفي الليل أيضاً. هذا أعلنه داود حين قال: «من الطريق يشرب من الوادي لذلك يرفع رأساً» (مز١٠٩:٧)، مظهراً بهذا **طريقة حياته المجاهدة**.

✚ ومن أيّة جهة ظنّت أنّه يهوديّ ؟ لعلها ظنّت ذلك من ملبسه ومن لهجة كلامه. تأمّل كيف كانت المرأة السامريّة مؤدّبة ، لأنّها لم تقل إنّ السامريين لا يختلطون باليهود ، لكنّها قالت لا «لأنّ اليهود لا يعاملون السامريين».

✚ أوضَحَ المسيح هنا أنّ المرأة مستحقّة أن تسمع ، وليست أهلاً للإعراض عنها ، وبعد ذلك كَشَفَ لها عن ذاته. فإنّها ما أن تعلّمت مَن هو، للحال إستمعت إليه وأصغَت، الأمر الذي لا يُقال عن اليهود ، لأنّهم إذ تعلّموا لم يسألوه شيئاً ، ولا رغبوا في الإنتفاع بأمرٍ ما منه ، بل شتموه وطردوه.

✚ أنظُر كيف أجابت المرأة المسيح بأوفر دعة قائلة: «يا سيّد لا دلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحيّ ؟». لأنّها لم تدعه هنا سيّداً على بسيط ذات التسمية ، لكنّها كرّمته كثيراً. والبرهان على أنّها قالت هذه الأقوال مكرّمة إيّاه ، أنّها ولم تضحك عليه ، لكنّها تحيّرت بسرعة. وإن كانت لم تفهم في الحال كل ما يجب أن تفهمه عن المسيح فلا تتعجّب ، لأنّه ولا نيقوديموس فهم معنى كلام المسيح.

تأمّل ما قاله نيقوديموس: «كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعلّه يقدر أن يدخل بطن أمّه ثانية ويولد ؟» (يو٣: ٤)، أما هذه المرأة فكانت أوفر توقيراً من نيقوديموس ، إذ قالت: «يا سيّد لا دلو لك والبئر عميقة ، فمن أين لك الماء الحيّ ؟». كان يمكنها أن تقول قولاً على سبيل التهجّم: «لو كنت تمتلك هذا الماء الحيّ لَما طَلبتَ منّي ماءً ، بل تُعطيه لنفسكَ أولاً ، فأنت الآن إنما تفتخر بذلك» . إلاّ أنّها لم تنطق بلفظ من هَذه الألفاظ ، لكنّها أجابت بوداعة كثيرة في ابتداء الخطاب.

عيد الخمسين

عظة للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

مواهب الروح القدس

يا أحبائي كم هي عظيمة مواهب الروح التي أغدقها علينا اللّه محب البشر، تلك المواهب التي تفوق العقل الإنساني. لذلك لنفرح جميعاً ونبتهج مسبحين الرب. لأنه بالنسبة لنا، فإن هذا اليوم هو **يوم عيد واحتفال عظيم**. وكما تتتابع الفصول الواحد بعد الآخر، هكذا تأتي الإحتفالات في الكنيسة الواحد تلو الآخر، فنذهب من الواحد إلى الآخر.

منذ أيام قليلة احتفلنا بآلام المسيح وصليبه وقيامته، ثم بعد ذلك احتفلنا بصعود ربنا يسوع المسيح إلى السموات. اليوم وصلنا إلى قمة الخيرات، إلى تاج الأعياد، اليوم نتمتع بوعد الرب في الإنجيل: "لكني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يو١٦:٧).

أرأيتم كم هو عظيم هذا الإعتناء الأبوي؟
أرأيتم كم هي محبته التي لا توصف؟

قبل أيام قليلة صعد المسيح إلى السموات وجلس على العرش الملوكي، عن يمين الآب، واليوم يُرسل لنا مواهب الروح القدس. وبهذه الطريقة يهبنا الخيرات السماوية التي لا تُحصى. أَخبِرْني، هل يوجد أي خير من الخيرات التي تساهم في خلاصنا لم تُعطَ لنا بواسطة الروح القدس؟ إننا بنعمته نتخلّص من **عبودية الشيطان** وندخل إلى حريّة المسيح، وننقاد إلى نعمة التبني الإلهي، ونُولد ولادة ثانية، ونلقي عن كاهلنا ثقل خطايانا ونيرها الذي لا يُطاق. بنعمة الروح القدس صار كثيرون كهنة وآخرون معلمون في الكنيسة. كل التعاليم الغنيّة ومواهب الشفاء تنبع من هذا المصدر. نعم، كل النعَم الأخرى التي تزيّن كنيسة اللّه، تأتي من الروح القدس. لذا ينادي الرسول بولس قائلاً: "ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢:١١).

يقول "كما يشاء"، أي لا يأخذ أمراً من غيره بأن "يقسّم"، أو "لا يقسّم"، الروح له سلطان ولا يتسلط عليه أحد. لأن بولس الرسول يقول كيف إن الروح القدس له نفس السلطان الذي للآب: "ولكن اللّه واحد الذي يعمل الكل في الكل"، هكذا أيضاً يقول عن الروح القدس: "ولكن هذه كلّها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء"

أرأيت السُلّطة الكاملة التي للروح القدس؟ إذ أن الأقانيم الثلاثة التي لها نفس الطبيعة والجوهر هي أيضاً لها نفس السُلطة والمكانة والقدرة الواحدة.

إن قوّة الروح القدس تخلّصنا من الخطايا، بهذه القوة تغتسل نفوسنا من أي دنس. وبينما نحن بشر، صرنا بعطيّة الروح القدس ملائكة دون أن تتغيّر طبيعتنا. وهذا ما يستحق كل إعجاب، إن نعمة الروح القدس تعطينا أن نسلك سلوك الملائكة بينما طبيعتنا البشرية لا يعتريها أي تغيير. **كم هي عظيمة قوة الروح القدس!**.

مباركٌ انت ايها المسيح الهنا.
يا من اظهرت الصيادين غزيري الحكمة.
مرسلاً لهم الروح القدس وبهم اصطاد المسكونة.
فيا محب البشر المجد لك.

وكما أن الفخّار الليّن عندما يتعرّض للنار يصير قرميداً صلباً، هكذا بالضبط نار الروح القدس عندما تحل على النفس العاقلة تجعلها أقوى من الحديد حتى ولو كانت ليّنة وضعيفة، وأيضاً تصير أكثر نقاوة من الشمس. وقد أراد بولس الرسول أن يعلّمنا هذه الحقيقة قائلاً: "لا تضلوا. لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعوا ذكور ولا سارقون ولا طامعون ولا سكيرون ولا شتّامون ولا خاطفون يرثون ملكوت اللّه" (١كو٦:٩-١٠).

وحيث إنّه أحصى كل **أنواع الشرور** وعلّمنا أن كل الذين يفعلونها يبتعدون تماماً عن ملكوت السموات، أضاف مباشرة قائلاً :

"وهكذا كان أُناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدّستم بل تبرّرتم بإسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (١كو٦:١١).

هل رأيت، يا عزيزي، قوة الروح القدس؟.

هل رأيت أن الروح القدس يُزيل كل هذه الشرور، وأن أولئك الذين كانوا سابقاً **مُستعبدين لخطاياهم** رفعهم إلى مكانة وكرامة سامية جداً؟.

ضد محاربي الروح

مَنْ يستطيع أن يبكي ويحزن حزناً يتناسب مع هول الكارثة، على هؤلاء الذين شرعوا في إهانة الروح القدس، هؤلاء الذين سقط عليهم هوس رهيب وأصيبوا بعدم التبصّر فبدلاً من تَذكّر إحسانات وخيرات الروح القدس تجرأوا على فعل كل ما يدمّر هذه الخيرات محاولين بقدر استطاعتهم رفض الروح القدس، منكرين مكانته وسلطته منزلين إياه إلى مستوى مخلوقات اللّه ؟

وأنا أريد أن أسألهم: لأي سبب أنتم تحاربون الروح القدس بهذا الهوس؟ أو بالأحرى: لماذا تحاربون خلاصكم ولا تريدون فهم أقوال الرب التي قالها للتلاميذ "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم بإسم الآب والإبن والروح القدس" (مت ٢٨:١٩).

أرأيت الكرامة الواحدة التي لأقانيم الثالوث القدوس؟!
أرأيت مدى التوافق الكامل فيما بينهم؟
ربما رأيت اختلافاً ما أو شيئاً غائباً فيما بينهم؟!!
لماذا تتجرأ على تزييف أقوال الرب؟

هل تجهل أنه في المسائل البشرية إذا شَرع شخص وتجرأ على إضافة شيئاً أو حذف شيئاً من أوامر ملك ما ـ الذي هو أيضاً مثلنا ـ يعاقبونه بأسوأ عقاب ولا أحد يستطيع أن يخلصه من العقاب؟

إذن طالما هناك أخطار كثيرة بالنسبة للمسائل البشرية، كيف يكون من الممكن أن يُغفر لأولئك الذين يُظهرون **البلادة** محاولين أن يُحرِّفوا أقوال مخلصنا ولا يريدون أن يسمعوا حتى لبولس الذي كان يتحدّث إليه المسيح بصوت واضح نقي في داخله : "ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه اللّه للذين يحبّونه" (١كو٢:٩).

إن كانت العين البشرية لا تستطيع أن ترى، ولا الأذن أن تسمع ولا الخاطر البشري أن يتخيّل كل الذي يعدّه اللّه لأولئك الذين يحبّونه ، كيف يكون في استطاعتنا (يا بولس الطوباوي) أن نعرفها ؟

لكن أقول: انتظر قليلاً وسوف تسمع الرسول بولس يعلن لك قائلاً: "أعلنه اللّه لنا نحن بروحه" (١كو٢:١٠). ولم يتوقف عند ذلك بل أظهر قوة الروح القدس وأنّه مساو للآب في الجوهر قائلاً: "لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق اللّه" (١كو٢:١٠).

ثم أراد الرسول بولس أن يجعلنا نفهم فهماً صحيحاً فاستخدم أمثلة من الحياة البشرية وقال: "لأن مَنْ منْ الناس يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضاً أمور اللّه لا يعرفها أحد إلاّ روح اللّه" (١كو٢:١١).

ألا ترى أن ما قاله بولس هو تعليم كامل؟

حقّاً هذا هو البرهان الأعظم والأكثر قوة عن الروح القدس لأنه قدّم لنا مثالاً يوضّح لنا تماماً أنه من المستحيل أن لا يعرف الإنسان ما يجول في فكره. إذن طالما أن هذا لا يمكن أن يكون إلاّ هكذا، كذلك أيضاً فإن الروح القدس يعرف أعماق اللّه. لكنني لا أعرف لماذا لم يضع كلمات الرسول بولس هذه أولئك الذين بإرادتهم يؤذون أنفسهم صانعين حرباً ضد خلاصهم وضد الروح القدس، إذ يُبعدونه بقدر ما يستطيعون من مكانته وسلطانه ويُنزلونه إلى مكانة أدنى مع مخلوقات اللّه. لكن رغم أن هؤلاء يتصرفون بعداوة ويقاومون أقوال الكتاب المقدس، **إلاّ أننا نحن الذين قَبلنا الإيمان المُعلَن إلينا من السماء نقدّم إلى الرب المجد اللائق بِه ونُبرهن على دقّة التعليم الإلهي بالإيمان والحق المستقيم**، وبالرغم من أن كل ما قلناه هو كافي للردّ على أولئك الذين تجرأوا على المناداة بتعاليم مضادة لتلك التي قالها الروح القدس.إلاّ أنني أرى من الضروري أن أقدّم لكم أيها الأحباء، الإجابة على سؤال: لماذا لم يُرسل الرب الروح القدس بعد صعوده إلى السموات مباشرة؟.

هذا الأمر لم يحدث عبثاً وبدون سبب. إذ أن الرب يعرف أن الجنس البشري لا **يُقَدِّر** ـ كما ينبغي ـ الخيرات التي يملكها، ويُعلّمنا دائماً الأمور المفرحة اللائقة بوجود **المتضادات** وأستطيع أن أشرح هذه الحقيقة بطريقة أفضل.

فذاك الذي هو معافى وقويّ جسدياً لا يشعر بهذه العافية والقوة إن لم يختبر المرض والضعف الجسدي. وذاك الذي يرى النهار لا يُقدِّر النور كما يليق إن لم يعقب هذا النور ظلام الليّل. حقّاً، إن خبرة الأمور المتضادة هي دائماً خبرة تربوية تعليميّة نكتسبها بفرح. هكذا على نفس القياس إستَمْتَعَ التلاميذ بخيرات كثيرة عندما كان المسيح معهم وكانوا فرحين بالحياة معه. أيضاً شَهِدَ لهم سُكّان فلسطين بأنّهم أقاموا موتى وطهّروا بُرص وطَردوا شياطين وشفوا مرضى وتمّموا معجزات كثيرة أخرى. لذلك كان من الضروري أن يتركهم فترة زمنيّة صغيرة بدون القوة التي كانت تعينهم حتى يدركوا بأنفسهم مدى أهمية عطية حضور الرب عندما كان بينهم، حينئذ يفهمون قيمة الخيرات السابقة ويقبلون بكل شوق واستعداد عطية المعزي.

إذن عزّاهم اللّه في ضيقتهم وأنارهم بنوره بينما كانوا عابسين ومكتئبين لإنفصالهم عن معلّمهم وبينما هم شبه موتى أقامهم وأزال سحابة الحزن، حينما سمعوا قول الرب: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" (مت ٢٨:١٩). وكانوا من قبل في حيرة ولم يعرفوا أين ينبغي أن يذهب كل واحد منهم، وفي أي منطقة من الأرض يجب أن يكرز بكلمة اللّه، حتى جاء الروح القدس على شكل ألسنة نار وقسّم لكل واحد المنطقة التي كان يجب أن يعلّم فيها وصار معروفاً باللغة التي أعطاها لكل واحد، لذلك حلّ الروح على شكل ألسنة نار، وبهذا أيضاً يذكرنا بقصة قديمة. فعندما إنحرف الناس ذهنيّاً في القديم وأرادوا أن يبنوا برجاً يصل إلى السماء، أحدث اللّه بلبلة في ألسنتهم وهكذا أبطل تخطيطاتهم الغبيّة. لأجل هذا

السبب يحلّق فوق رؤوسهم الروح القدس على شكل ألسنة نارية، لكي **يوحّد** ـ بهذه الطريقة ـ المسكونة التي كانت منقسمة. وهكذا حدث شيء غريب وغير معتاد، لأنه قديماً كانت الألسنة تُفَرّق المسكونة، وأما الآن فالألسنة الناريّة توحّدها وتقود إلى الوفاق بين الأمور التي كانت متضادة ومنفصلة فيما بينها. إذن، فقد حلّ الروح القدس على شكل الألسنة وحسناً أخذ شكل ألسنة نارية وذلك لكي تُحرق أشواك الخطية التي نبتت داخل نفوسنا. لأنه كما أن الأرض التي هي غنية وخصبة ولا تُفَلّح **تمتلىء من الأشواك الكثيرة** ، هكذا يكون لنا نحن البشر نفس الأمر. نحن الذين خلقنا اللّه صالحين وقادرين على أعمال الفضيلة ولكن بسبب أننا لم نقبل فلاحة التقوى ولا بذرة الإيمان باللّه إمتلأت نفوسنا من أشواك عدم الإيمان ونباتات أخرى غير مفيدة، وكما أنّه في مرات كثيرة يتغطّى سطح الأرض ويختفي من جراء الأشواك الكثيفة والنباتات البريّة، هكذا لا يظهر نقاء نفوسنا وتأدبها إذ قد غطتها أشواك الخطية، حتى أتى الكلمة خالق الجنس البشري **الذي وضع نار الروح القدس ليطهرنا** من الأشواك ويجعلنا مناسبين لقبول بذرة السماء .

المحبة هي الثمرة الأولى للروح القدس:

لقد إكتسبنا في هذا العيد خيرات كثيرة، لذلك أرجوكم أن نحتفل كما يليق بهذه الخيرات الصالحة التي حصلنا عليها ليس بتزيين المدينة بالأكاليل، لكن بتجميل نفوسنا بالفضيلة. أقول ليس بتزيين الأسواق بستائر ملونة لكن بأن نجعل نفوسنا تتلون وتلمع بالفضيلة حتى نستطيع هكذا قبول نعمة الروح القدس ونجني ثماره التي سوف يقدمها لنا.

القديس يوحنا الذهبيّ الفم

لكن ما هي ثمار الروح القدس؟

ليتنا ننصت إلى ما قاله بولس: "أما ثمر الروح فهو محبةٌ ، فرحٌ ، سلامٌ ،طول أناة، لُطفٌ ، صلاحٌ ، إيمانٌ ، وداعةٌ ، تعفّفٌ (غلا ٥: ٢٢).

لاحظ بدقة إنه يقدّم لنا هذا التعليم ويضع في البداية المحبة وبعد ذلك يذكر فضائل أخرى. فهو زرع الشجرة وبعد ذلك أظهر لنا الثمرة. وضع الأساسات ثم بنى المبنى. بدأ من المنبع ثم جاء إلى الأنهار. لأنه ليس من الممكن أن يشعر المرء بالفرح إن لم يعتبر أولاً أن فرحه هو سعادة الآخرين، وإن لم يرى أن الصالحات والخيرات الخاصة قَريبَه كأنها خاصة به. فلكي نستمتع بكل الثمار يجب أن تتملّك المحبة على نفوسنا.

المحبة هي جذر ومنبع وأم الصالحات،
لأنها كجذر تُنبت آلاف الفروع من الفضائل،
وكمنبع يتدفّق منها ماء كثير ونقي،
وكأم تحتضن كل أولئك الذين يلجأون إليها.

هذا بالتأكيد يعرفه جيّداً بولس الطوباوي، لذلك دعا المحبة ثمرة الروح القدس. واعتبرها أسمى جداً، حتى دعاها تكميل الناموس "المحبة هي تكميل الناموس" (رو١٣: ١٠). لذلك اعتبر رب الجميع أن المحبة هي الملمح الصادق الذي يتصف به تلاميذه: "بهذا يعرف الناس أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضكم نحو بعض" (يو١٣: ٣٥).

لذلك من فضلكم، دعونا جميعاً نسرع إلى المحبة ونحتضنها ونمسك بها بشدّة ونُعَيّد هذا العيد. لأنه حيث توجد المحبة تموت شهوات النفس. حيث توجد المحبة تتوقف حركات الشهوات الجامحة للنفس. فالمحبة كما يقول بولس الرسول:

"تتأنى وترفق. المحبة لا تحسد. المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء، المحبة لا تسقط أبداً" (١كو١٣: ٤-٥).

المحبة لا تفعل شيئاً شرّاً للآخر،
حيث توجد المحبة لا يوجد أي قايين آخر يقتل أخاه.
أخرج الحسد من قلبك فتكون قد أخرجت نهر الشرور.
إقطع جذر شجرة الخطيّة وسوف تختفي ثمارها مباشرة.

وأقول ذلك، بسبب أنني **حزين جداً** على أولئك الذين **يحسدون** إذ يؤذون ذواتهم ويدمروها بينما من يقع عليهم فعل الحسد ينالون مكافأة من اللّه. لذا نمدح هابيل ونذكر دائماً أنه بسبب الحسد اكتسب مجّداً. إذ أن قايين قتله وظلّ عائشاً هائماً مرتعباً من الفزع.

لكن هابيل الذي قُتِلَ تحدّث بأكثر شجاعة بعد موته "وإن مات يتكلّم بعد !" (عب١١: ٤). وكما جعلت الخطية قايين يحيا وهو أكثر عاراً من الأموات، هكذا جعلت الفضيلة هابيل ممجداً بعد موته.

تحذيرات وتوصيات:

إذن، لكي نكتسب ثقة أعظم في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى، ولكي نستمتع جداً بالفرح الذي يقدمّه لنا هذا العيد ليتنا نخلع عنا ملابس **نفوسنا القذرة خاصة لباس الحسد**. لأنه إن كنّا نفعل أعمالاً صالحة لا تُحصى سوف نفقد كلّ شيء إن كان يوجد في داخلنا هذا الخطأ المر والممقوت **(الحسد)**، والذي علينا أن نتجنّبه كلنا، خاصة أولئك الذين خلعوا بالمعموديّة اليوم لُباس الخطايا العتيق ويلمعون الآن باللباس الجديد مثل أشعة الشمس.

إذن من فضلكم، يا من صرتم اليوم أبناء اللّه، أنتم الذين لبستم هذا الثوب البهي، إحفظوا الفرح الذي نلتموه الآن، **طالما أعتقتم الشيطان** وعليّتم الجدار حتى لا يأتي إلى نفوسكم من الباب. وطالما أنتم تستمتعون بغنى الروح القدس فإنّكم ترون الثمار الروحيّة : **ثلاثون وستون ومائة** ، وبذلك تستحقون الحضور بدالة أمام الملك السماوي عندما يأتي ويُقسم الخيرات التي لا تُحصى على أولئك الذين عاشوا بتقوى وفضيلة هنا على الأرض بحسب وصايا ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوّة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين.

حكمة الله

ما بين نصف الخمسين وعيد المظال (٢)

المتروبوليت إيروثيوس فلاخوس
تعريب الأب أنطوان ملكي

تتمة من العدد السابق

المسيح ليس نوراً مخلوقاً مُدرَكاً بالحواس، ولا هو نور رمزي، كما أنّه ليس نوراً أخلاقياً على ما يرغب البعض في تصويره. **النور الإلهي هو قوته غير المخلوقة** التي متى أعطي للناس أن يروها، بعد أن يتطهروا، يرونها كنور.

إنّه النور الحقيقي للعالم. هنا ليس المكان المناسب للمعالجة الشاملة لموضوع أن اللّه نور العالم وما هو النور، فهذا نتطرق إليه في فصل شرح عيد تجلّي المسيح على طور ثابور. هنا علينا أن نشدّد على أمرين أساسيين.

الأول: أن هذا النور مرتبط بالحياة. ففي الحديث عن الحياة لا نعني حياة الإنسان البيولوجية والعاطفية، بل **تألّهه**. مَن يرَ النور الإلهي ينتقل من ظلام النوس إلى الحياة التي هي استنارة وتألّه. بما أن النور الإلهي ليس أخلاقياً ولا رمزياً ولا مُدرَكاً للحواس، هذا يعني أن الظلام ليس أخلاقياً ولا رمزياً ولا مُدرَكاً للحواس، بل هو **ظلام النوس أي موت عين النفس**.

ثانياً: لكي يُرى اللّه كنور، على الإنسان أن يكون في حالة روحية محدّدة وإلا فهو يراه كنار آكلة. يُختَبَر اللّه إمّا **كنار تأسر النفس** أو **كنار تأكلها**. في هذا تكمن رحلة الإنسان النسكية كاملةً.

✚ في كل التقليد الكتابي ـ الآبائي، تحمل كلمة «**حكمة**» صفة أقنومية وتشير إلى إبن اللّه وكلمته الذي صار إنساناً لخلاص جنس البشر. أريد أن أشير إلى مقطع أساسي يستعمله آباء الكنيسة كثيراً من عند الرسول بولس: «لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.» (١كو١:٢٢-٢٤). يتحدث العهد القديم عن الحكمة الأقنوم أي كلمة اللّه. في حكمة سليمان مقطع مميز، حيث يصلّي سليمان إلى إله الآباء ورب الرحمة لأن يرسل إليه حكمته. في قراءة هذه الصلاة بتأن نقتنع بأنها تتحدث عن الحكمة الأقنوم ابن اللّه وكلمته الذي به خُلق العالم وخلُص الجنس البشري والخليقة تجددت. في المكان الأول، ثمّة تشديد قوي على حكمة غير مجردة بل حكمة تجلس عند اللّه:

«هَبْ لي الحكمة الجالسة إلى عرشك» (حكمة٩:٤). هذه الحكمة تجلس على عرش اللّه وتقدر على مساعدة الإنسان: «أرسلْها من السماوات المقدّسة وابعثها من عرشَ مجدك لكي تقف إلى جانبي وتجدّ معي وأعلم ما المرضي لديك» (٩:١٠). الحكمة تعرف كلّ شيء وتقود الإنسان إلى أعماله: «فإنّها تعلم وتفهم كلّ شيء فتكون لي في افعالي مرشداً فطيناً وبمجدها تحميني» (٩:١١). بهذه الحكمة خلق اللّه العالم. «مكوّن الإنسان بحكمتك» (٩:٢).

حكمة اللّه المتشخصنة هي دائماً متّحدة باللّه، تعرف إرادته، وتشاركه في خلق العالم: «معك الحكمة العليمة بأعمالك والتي كانت حاضرة حين صنعتَ العالم» (٩:٩). وبالتأكيد، خلاص الإنسان يتحقق بها: «بالحكمة نلنا الخلاص» (٩:١٩).

يظهر بوضوح من الدراسة المتأنّية لهذه النصوص التي أوردناها، أي صلاة سليمان إلى اللّه، أنّ حكمة اللّه هي شخص، مساعد للّه، وكلمة اللّه.

عند تفسير هذه المقاطع على أساس العهد الجديد، الذي فيه كشف الكلمة المتجسّد الحقيقة، يرى المرء الحقّ، الذي هو الحكمة متمثلة في **شخص**.

يتحدّث كتاب الأمثال عن حكمة اللّه، كلمة اللّه، التي بنت بيتها ودعّمته بسبع أعمدة. من ثمّ هيأت مائدة وذبحت ذبحها وسكبت خمرها في جرّة. من ثمّ دعت كثيرين من أتباعها إلى هذه المائدة العظيمة قائلة: «هَلُمُّوا كُلُوا مِنْ طَعَامِي، وَاشْرَبُوا مِنَ الخمر الَّتِي مَزَجْتُهَا.» (أمثال ٩:١-٦). في هذا المقطع نبوءة عن حكمة اللّه الذي هو إبن اللّه وكلمته، عن اتخاذه جسداً وتقديسه، تأسيس الكنيسة التي فيها الأسرار، وبالحقيقة فوق كل هذا، **سرّ الإفخارستيا المقدسة**. مَن يشترك في هذه المائدة يأكل جسد أسرة الحكمة ويشرب دمها، أي أنه يتّحد بكلمة اللّه الأقنومية.

✚ في تفسير هذه المقاطع التي تشير إلى حكمة اللّه، يعلّم آباء الكنيسة أنّها بوضوح **تدور حول المسيح**. لن أورد كل المقاطع، بل الأكثر دلالة منها فقط. رداً على آريوس، الذي قال أن المسيح كان خليقة اللّه وتقدّم مع مرور الزمن في الحكمة والنعمة، قال **القديس أثناسيوس الكبير** أنّه ليس هناك تقدّم في اللوغوس ولا الجسد الذي إتخذه المسيح كان الحكمة، بل كان جسد الحكمة. لهذا يقول أن الحكمة لم تتكمّل لأنها الحكمة، بل الجسد البشري صار كاملاً في الحكمة. هذا يرتبط بما قلناه في مكان آخر بأن الحكمة التي في المسيح إستبانَت مع التقدّم في عمره الجسدي. وعند نقطة أخرى، يقول **بطل الأرثوذكسية العظيم، القديس أثناسيوس الكبير**، أنّ **إبن اللّه هو كلمة اللّه وهو الحكمة. إنّه التعقّل والإرادة الحيّة، وفيه إرادة الآب، هو حق الآب ونوره وقدرته**. في تفسيره كلمات الأمثال «الحكمة بنت لنفسها بيتاً»، يقول أنّ هذه تشير أيضاً إلى المسيحيين الذين يصبحون هياكلاً للروح القدس.

أخيراً، في كتابته ضد أريوس الذي شدّد على مخلوقيّة كلمة اللّه، يشير **القديس أثناسيوس** مرات عديدة إلى أقوال الرسول بولس بأن المسيح هو حكمة اللّه المتجسّدة. يستعمل **القديس باسيليوس الكبير**، في جهاده **ضد أفنوميوس**، القول الرسولي بأن المسيح هو حكمة اللّه، فيقول أن هذه الجملة تعني **أن كل قوة الآب تكمن في المسيح**، وبالتالي كلّ ما يفعله الآب يفعله الإبن بالطريقة نفسها. يفسّر الآباء المقاطع الصوفيولوجية في الكتاب ضمن هذا المنظور. يتحدّث **القديس كيرللس الأورشليمي** عن «حكمة اللّه وقوّته وبرّه المتجسّد». يقول **القديس أبيفانيوس**: «حكمة الآب هو كلمة اللّه المتجسّد». في إشارته إلى العذراء، يقول **القديس يوحنا الدمشقي** «والكلمة المتجسّد وحكمة اللّه، إبن اللّه، ظلّلها». وفي إشارة إلى والدة الإله، يقول **القديس صوفرونيوس الأورشليمي** «التي وحدها حملت حكمة اللّه المتجسّد في بطنها». **ولديديموس الضرير** قولٌ مهمّ في أنّه «يستحيل اقتناء النور إلاّ من النور، كذلك أيضاً يستحيل اقتناء الحكمة إلاّ من الحكيم، أي الإبن من الآب». هذه الأمور ليست صوفيولوجيا مجردة تدور حول حكمة مجهولة، ولا هي حتى شيء يشير إلى قوة اللّه، بل حكمة اللّه المتجسّدة أي إبن اللّه وكلمته. في العهد القديم نبوءات عن تجسّد الكلمة غير المتجسّد، وفي العهد الجديد امتداح له وتمجيد وحياة.

✚ بما أن المسيح هو حكمة اللّه المتجسّد، فأقواله هي تعبير عن هذه الحكمة. المسيح هو الكلمة (مع «أل» التعريف) أي كلمة اللّه، لأنّه يعلن مشورة اللّه الآب وإرادته، ولأنه مولود من الآب كما الكلمة من النوس. في الوقت نفسه، قوله، أي وعظه، تعليمه، هو تعبير وقوة كلمة اللّه وحكمته. قوله ليس قولاً بشرياً بل هو **بشري إلهي**. لهذا السبب تساهم كلمة الكلمة في شفاء الإنسان، على ما أكّد هو: «أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ» (يوحنا ١٥:٣). إن كلمة اللّه هي قوته غير المخلوقة التي تُطهّر وتُنير وتُقدّس الإنسان وبها يخلق اللّه العالم كله ويصونه. يقول المزمور «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ» (مزمور٣٢:٦).بالفعل، نحن لا نجهل أننا عندما نتكلّم عن كلمة اللّه (بمعنى قوله) نحن نعني أمرين، قوته غير المخلوقة، الكلمات والمعاني غير المنطوق بها، والثاني هو نقل الخبرة الإعلانية من خلال التعليم. في كل كلمة بشرية قوة مخبأة لأنها تعبّر عن الخبرة والمعرفة والقدرات الخاصة بكل شخص. هذا صحيح بالأكثر مع كلمة اللّه. كلمات المسيح نَقَلت، وما زالت تنقل، قوته غير المخلوقة. المسيح نفسه قال أن مَن يحفظ وصاياه يحبه الآب «وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً» (يوحنا ١٤:٢١-٢٣).

يقول **القديس مكسيموس المعترف** شارحاً هذه النقطة أن كلمة اللّه نفسه حاضر سرياً في كل وصية يعطيها. لكنّه معروف أن كلمة اللّه لا ينفصل عن الآب والروح القدس. لهذا مَن يحفظ كلمة المسيح يحصل على الثالوث في داخله ويشارك فيه سرياً. إذاً، تعاليم المسيح هي «كلمات الحياة الأبدية» (يوحنا٦:٦٨)، وليست مجرد تعليم. الكلمة غير المتجسّد أعطى الكلمة لأنبياء العهد القديم ولهذا هو مألوف قولهم «**هكذا قال الرب**».

من ناحية ثانية، لا يتكلّم المسيح بهذه الطريقة بل يقول «**أمّا انا فأقول**». وعندما تجد هذه الكلمة تربة ملائمة تثمر. المسيح كشف إرادة الآب. فكما أن للبذرة إمكانية وقدرة عظيمتين لأن ينبت منها شجرة ضخمة، كذلك لكلمة اللّه إمكانية وقدرة عظيمتين. إلى هذا، يوجد فرق بين القوة المخلوقة والقوة غير المخلوقة.

يخبرنا **القديس مكاريوس** أن كلمة اللّه ليست كسولة «بل لديها عمل حين تصبح في التربة». لهذا مَن يسمع كلمة المسيح «ينير المسيح طريقه»، بحسب **القديس ثالاسيوس**. إن الصفة النفّاذة لكلمة اللّه تعود لكونها بالتحديد قوّته غير المخلوقة، وهذا يظهر في مقطع مدهش من عند الرسول بولس: «لأَنَّ كَلِمَةَ الله حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لَعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا» (عبرانيين٤:١٢-١٣). لا يمكن شرح هذا المقطع إلاّ بربطه بكلمة اللّه وقوته.

السؤال هو: لماذا لا تعمل كلمة اللّه في كل الناس بالطريقة ذاتها. هذا يرتبط بأن النعمة الإلهية تعمل في الناس بشكل مختلف بحسب الحالة الروحية لكل منهم. يقول **القديس مكسيموس** بأن هنا أيضاً شيء مماثل لما هو الماء الحقيقي للنباتات والحيوانات. يدخل الماء في كل ما عنده حياة لكنه يؤدي إلى نتائج مختلفة. لكل شجرة ونبتة ثمرتها الخاصة، حلاوتها، مرارتها، حموضتها، مع أنها جميعاً تلقت الماء نفسه. هذا يتوقّف على تركيبة كل نبات. وهكذا تعمل الكلمة الإلهية وتظهر بما يتناسب مع نوعية فضيلة كل شخص ومعرفته، أي عملياً ومعرفياً. إذا كان المرء دنساً، تطهره كلمة اللّه، إذا كان في طور الاستنارة أو التألّه، تنيره وتؤلهه. هذا يفسّر معنى أن البعض **يخلصون** لسماعهم كلمة اللّه فيما **يُدان آخرون**.

يتبع

فهذا الذي تجمعه لمن يكون ؟

إذا كنتَ جمّاعاً لمالكَ مُمسكاً
فأنتَ عليه خازنٌ وأمين
تؤدّيه مذموماً إلى غير حامد
في أكله عفواً وأنتَ دفين

الملائكة و الشياطين

النورانيون المردة

العالم غير المنظور

م. باسيليا شلنيك

تتمة من العدد السابق

نعم منذ ذلك الوقت ، وملكوت اللّه تواجه المقاومة العنيفة من ملكوت الظلمة الشيطانيّ ، وجحافل أبالسته ، الذين يتبعون رئيسهم في حربهم القاسية ضدّ النّور ، ولكن حتى وإن كان الشيطان مع جيوش ملائكته الساقطين ، لهم قوّتهم الجهنميّة في حربهم هذه ضدّ ملكوت النّور ، إلاّ أنّ قواتهم إلى التفكّك ، والخذلان. لقد تحطّمت شخصيّة الشيطان حينما تعدّى حدود اللّه الموضوعة ، بين المخلوق ، والخالق ، محاولاً أن يكون مثل اللّه. وانتهت دعوته كحامل النّور ، **وتحوّل نوره إلى ظلمة** ...

ومنذ تأسيس العالم ، وهدف اللّه أن تكون له شركة المحبّة مع المخلوقات التي أبدعها ، والثقة المتبادلة مع الكائنات العاقلة. ولكن منذ **تمرّد لوسيفر** على اللّه ، تحطّمت هذه الصلة الكريمة ، الرفيعة. ومنذ أن **صرخ لوسيفر** صرخته: «**أنا هو الذي أنا هو ـ أريد أن أكون نظير اللّه**».

زالت هذه الشَركة وحلّ محلّها اليأس والظلام ، ودخل الموت إلى المَشهَد وهذ الحيّز. ولقد كان هذا أمراً لابدّ وأن يحدث. فالحياة الألهيّة والشخصيّة النبيلة ، تأتي حيث يكون هناك الإتكال على اللّه بروح المحبّة الفائضة الطوعيّة من القلب. ولكن **لوسيفر** بمحاولته إثبات ذاته، وبثورته وتمرّده على إلهه ؛ حطّم صلة المحبّة هذه ، وحطّم نفسه معها ....

إنّ كلّ كائن يخلقه اللّه ، يحيا فقط في فيض تيار الحياة النابع من مصدر كلّ حياة ـ الذي هو اللّه ـ والذي ليس هناك سواه ، وكل كائن يزداد قوّة وثباتاً حينما تتحد إرادته مع إرادة اللّه ، وهكذا سقَط **لوسيفر** في اللحظة التي قاوم فيها إرادة اللّه ... سقط من مركز الإتحاد الكامل مع اللّه ، وفقد قوّته كحامل النّور لأنّه إنقطع عن مصدر النّور والحياة ، ولم تعُد فيه بعد الحياة الإلهيّة ...

وأصبح على الشيطان الآن أن يواجه حقيقة موقفه الجديد فلم تعُد له المقدرة الإلهيّة بعد في كيانه وضاع منه كلّ ما يهبه السلطان ... وهذا ما يجعله يزمجر في أيامنا الحاضرة في **غيظ قاتل ، وفي حقده وثورته يهاجم اللّه ويهاجم كل ما هو إلهي**. لقد تحطّمت كلّ قوّته تماماً ، ولم يبقى سوى شبح رهيب من ملء ذلك النور الذي كان يفيض فيه الجمال والحياة التي كان يمتلكها ... إنّ نور اللّه يهب الدفء المبارك، ولكن **النور** الذي يصدر عن **لوسيفر الآن هو نور الحقد ، وهو نور مرعب رهيب ، يجعل الأبدان تقشعّر ، والنفوس تفزع. إنّه نور لا يهب الحياة بل يسبب الموت ، فهو مسخ للنور**.

زيادة على ذلك نقول ، أنّه منذ أن سقط لوسيفر ، أصبح صورة

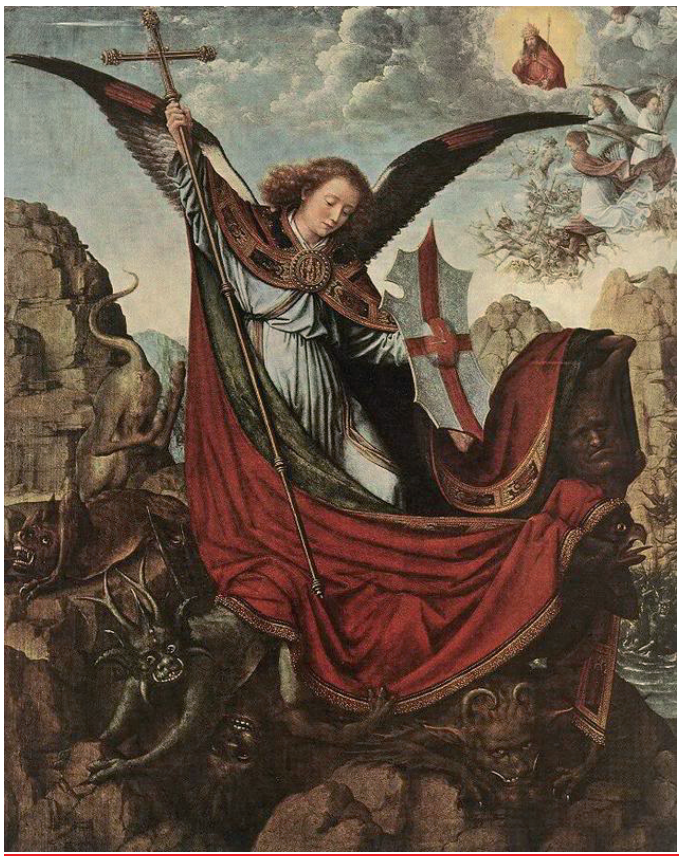

الملاك ميخائيل يدوس مملكة الشيطان بقوة الله الكامنة فيه

مُشَوِّهَة للحياة . فهو لذلك يقدّم الحياة المشوَّهة. لقد فقد الحياة الإلهيّة التي تأتي من الإتحاد باللّه والتي تجلب السعادة والتوافق والإنسجام. ومنذ سقوطه وتمرّده على اللّه ، تميّزت الحياة التي فيه **باليأس والإرتباك**. وهكذا ينعكس بين جيل وآخر في التاريخ ـ وعلى وجه خاص في أيّامنا الحاضرة ـ على مسرح الحياة ، من خلال الصورَ الفنيّة والتعبيرات الموسيقيّة التي يلهمها لأتباعه ، **إنّ كل ما يقدّمه الشيطان لأتباعه في طريق الحياة من المباهج والملذّات يحمل طابع الموت، ذلك لأنّه منفصل عن اللّه ومُضاد لوصاياه. إنّه يحمل بذار الموت ، وغالباً ما يؤدّي بأتباعه إلى الإنتحار ...**

وقوّة الشيطان التي تثمر الموت تعمل عملها ليس فقط في هذه الحياة ، بل حتى في العالم الآخر ، وحينما يتحدّث يسوع عن «**الموت الثاني**» فإنّه من المحتمل أن يكون عمليّة موت مستمرّة لا نهاية لها في مملكة الشيطان .

زيادة على ذلك ، فقد تحوّلت محبّة اللّه التي كانت تشّع في **لوسيفر** قديماً فتجعله «**حامل النور**» إلى **غضب متّقد قاتل يهلك الناس ، ويفتك بهم ، ويجعل حياتهم تفيض بالتعاسة** وكل ما يقف في وجه الشيطان أو يقاوم إرادته وسلطانه يتعرّض لغضبه وإضطهاده القاسي.

وهذا الحقد يُغذّيه ما لقيه الشيطان من فشل وما تعرّض له من خيبة أمل. فلقد ملأته الرغبة في أن يكون مثل اللّه ، وأنّى له أن يكون كذلك ! وتملأه أيضاً الرغبة في المستقبل لأنّ يقلّد المسيح ، ويظهر في صورة المسيح الدجّال ـ كما يقول القديس بولس الرسول ، ويُخضع له العالم الخاطىء ، ولكنّه يقلّد المسيح بصورة مقلوبة ، في صورة سلبيّة ، ذلك لأنّه سيحيا **حياة المسيح الكذّاب**. وعند ظهوره سيتعجّب النّاس سائرين وراءه متعبّدين له بهذه الكلمات «من هو مثل الوحش!» (رؤيا ١٣: ٤). مقلّدين بذلك جموع المتعبّدين في السماء ، الهاتفين: «من هو مثل اللّه!». ومرّة أخرى يحاول **لوسيفر** أن يغتصب عرش اللّه ، فالرغبة القاتلة تملأه لأن يكون مثل اللّه مثلما فعل في القديم عند سقوطه الأوّل ، وفي محاولته اليائسة للوصول إلى هذا الهدف سينفجر بركان غضبه ضدّ القدير.

وغَضَب **لوسيفر** القاتل الذي يوَجَّه ضدّ اللّه ، سيوجّهه بالطبيعة أيضاً ضد الإنسان ، فكل ذرّة من كيانه تغلي بالحقد من المخلوق الآدميّ. لقد سقَط **لوسيفر** فضاع مركزه أمام العرش مرّة وإلى الأبد.

ولكن الإنسان الذي إحتَقَره **لوسيفر** لأنّه أقلّ منه ، ولأنّه مخلوق من تراب الأرض له الفرصة لأنّ يتحوّل إلى صورة اللّه ، **بعمل فداء المخلّص يسوع المسيح** وهكذا بمعونة الربّ ، فالإنسان الذي يغلب سوفَ تكون له القوّة العظمى أمام عرش اللّه ، أما الشيطان الذي أضاع هذا السلطان سيستمرّ بالبغض والضغينة لأولئك الذين يحبّون اللّه ، ويحسد شركة المحبّة والصلة التي يرتبط فيها أولئك مع الثالوث القدّوس! ذلك لأنّه هو نفسه قد فَقَدَ هذه الحالة المباركة.

وهكذا نجده مصمّماً على ألاّ يدَع واحداً يصل إلى حالة النعمة والبَرَكة. فيُهاجم الإنسان بكل ما أوتيَ من همّة وخداع ؛ ومن حادثة سقوط آدم نرى أن طريقته في ذلك هي أن يزرع في الإنسان حُبّ العَظَمة والسلطان ، التي كان هو ممتلئاً بها.

«يوم تأكلان منها (من الشجرة) تصيران مثل اللّه» (تك٣: ٥). ولأن هذه كانت خطيّة الشيطان التي جعلته يدفع ثمن كبريائه بفقدانه لمركزه أمام العرش، لذلك فهو يدفع بالإنسان في نفس الطريق حتى يفقده مقامه أيضاً أمام عرش اللّه. إنّه يُهب قلب الإنسان ليجعله يتمرّد نظيره على خالقه ، وعلى كلّ سلطان ... «ورئيس هذا العالم يستخدم إلى يومنا الحاضر **نفس الإغراءات الخادعة** مُحرّضاً على **الذاتيّة المنتفخة المتكبّرة** ، وحكمته الشيطانيّة تتلخّص في هذه الشعارات:

«إثبات الذّات» «المركز والسلّطان» «الحريّة ليفعل الإنسان كلّ ما يريده».

لكن الويـــل سيكون لنا إن كُنّا نرتبط مع **لوسيفر الثائر في روحه الشيطانيّة المتمرّدة !**.

إنه **الكبرياء وتعالي النفس ، والرغبة الجسورة لأنّ نكون مثل اللّه**، تُحَوِّل الإنسان الذي خَلقه اللّه على صورته ، إلى صورة ممسوخة ، وفي هذه الروح روح التمرّد نَضع أيدينا في يد الشيطان أول الثائرين ونسقط من صلة المحبّة مع اللّه ، كما سقط هو. يا ليتنا لا نضيف إلى أحزان سيّدنا أحزاناً أخرى ، إنّ الربّ منذ سقوط **لوسيفر** وسقوط الإنسان ما يزال يتألّم من أجيال الزيغ والضياع التي تكرّر في حياة الكثيرين ، وعلى هذا فإنّ من الأمور الحيويّة لكل منّا أن نقطع كلّ صلة تربطنا مع الكبريـاء الشيطانيّة ، **وأن ننفصل عن كل روح ثورة ، وتمرّد** ، مكرّسين ذواتنا للسلوك بكل وداعة أمام اللّه ، وفي ملء الخضوع لإرادته القدّوسة ، وعند ذاك تفشل ثورة الشيطان ضدّنا وتُصبح قوّته محطّمة بالنسبة لنا. بل إنّ تدبيراته الخفيّة في واقع الأمر ، لا جدوى منها حينما تلتقي **بقدرة اللّه ومحبّة اللّه** ، فحتى لو قاد كلّ قوّاته الشيطانيّة للهجوم ضدّ اللّه وضدّ مَن ينتسبون للّه ، فمصير مجهوداته إلى الفشل.

إنّ مؤامرات الشيطان لابدّ وأن تنتهي إلى **لا شيء** لأنّ مشورة اللّه هي الفعّالة التي تَثبُت إلى الأبد. فمحبّة اللّه هي أعظم من حقد الشيطان ، **ودم يسوع المسيح** ، هو أقوى من كلّ هجمات عدوّ الخير...

يتبع في العدد القادم

قال المسيح وهو على الصليب: قد تم . أي أتمّ عمل التدبير الإلهي ومنها ، سحق رأس الحيّة أي الشيطان كما ذُكر في سفر التكوين : وهو يسحق رأسك (تك٣: ١٥) (ابن الإنسان يسحق رأس الحيّة). وبسقوط مملكة الشيطان ، تحرّر الإنسان من سلطان الجحيم. من خلال دم المسيح الثمين المسفوك على عود الصليب .

نزَلَ المخلّص إلى أعماق الهاوية (طرطروس) ليبد سلطان الموت أي إبليس ، فدم المسيح الطاهر أعتق آدم وحواء وذريّتهم من هول عذابات الجحيم.

وهذا ما يذكره القديس الذهبيّ الفم بعظة القيامة:

سبى الجحيم بنزوله اليه مَرْمَرَهُ لما ذاق جسدهُ.
وهذا بعينه قد تقدّم به أشعياء وصرخ قائلاً.
تَمَرْمَرَ لأنه قد هُزِىءَ به. تَمَرْمَرَ لأنه قد أميت.
تَمَرْمَرَ لأنه قد أُبيدَ. تَمَرْمَرَ لأنه قد رُبط.
تناول جسداً فصادفَ الهًا. تناول أرضًا فَصادف سماءً. تناول ما نظر فسقط من حيث لم ينظر.

مدخل إلى كتاب المزامير ٢

لأبينا الجليل في القديسين أثناسيوس الكبير

الربّ يغفر لداود خطيئته العظيمة، كما أعلنها له النبيّ يوناتان، فبعدما بكى بكاءاً مرّاً، كتبَ مزمور التوبة المشهور: (إرحمني يا الله بحسب عظيم رحمتك...) (مزمور ٥٠)

تتمة من العدد السابق

+ فرادة كتاب المزامير:

أما كتاب المزامير فله موهبةٌ خاصة وملاحظة فريدة، لأنه مع تعلّقه واشتراكه في ما هو موجود في الكتب الأخرى فقد احتوى أيضاً أمراً مختصاً وبديعاً، وهو إمتلاكُه حركات كُلِّ نفس وتغييراتها وتفاعلاتها موسومةً ومطبوعةً فيه، حتّى إن كُلّ مَن يريد أن يقتبس منه يكون لهُ مثل صورةٍ وروايةٍ مقارناً ذاتَه على ما وجد فيه.

في الكتب الأخرى نجد الناموس آمراً ما يجب فعله وناهياً عما لا يجب فعلُهُ، أو نجد نبوءةً تخبّر فقط بمجيء المخلّص، أو قصصاً تخبر عنها أعمال الملوك والقديسين. وأما كتاب المزامير،فإنَّ سامعه يُخبِّر بما سبق وكُتب ويكتشف حركات نفسه ليتعلّمها. وعندما يكون أحد الناس في ضيق ما فبإمكانه أن يختَار من هذه الاقوال ما يطلق حاله ويداويه بما يليق به من القول والفعل ويتعلّم منها. ولا نغفلَنَّ أنه يوجد في الكتب الأخرى شرائع تمنع الناس عن القبائح وتردعهم، لكن هذا الكتاب يدوّن كيف بالإمكان إجتنابها.

إن الكتب الأخرى تتضمّن وصيّة التوبة والكفّ عن الخطايا، أما هذا الكتاب فيشرح كيف يجب أن تكون التوبة وكيف يُعبَّر عنها، فإنَّ سامعه يُخبِّر بما سبق وكُتبَ ويرتشف حركات نفسه ليتعلمها. يقول بولس الرسول: «إنَّ الحزن يصنع صبراً والصبر إختباراً والاختبار رجاء والرجاء لا يُخزي». أما كتاب المزامير فيحدّد لنا كيف يجب أن يكون إحتمال الأحزان، وماذا يقول المحزون وقت الحزن وما بعد الحزن ، وكيف يُجَرب كُلُّ مخلوق. كما يورد أقوال المتكلين على الربّ، ويؤكد أنَّ الوصية فرضت علينا الشكر على كل حال، وتعلمنا المزامير ماذا يقول الشاكر كما يورد عند آخرين: «أنَّ الذين يريدون أن يعيشوا بحسب الايمان بالمسيح سيطردون». لكن نقرأ في المزامير ما رأي المطرودين وماذا يقولون للّه بعد طَردهم. كما ورد في الوصية أيضاً أنه علينا أن نبارك الرب ونعترف له، لكن المزامير تصوّر لنا كيف نسَبحُ اللّه، وبأيَّة أقوال نعترفُ له.

القديس أثناسيوس الكبير

لذلك يمكن لكل إنسان أن يجد، أن التسابيح قد وُضعتْ لنا لنحَياها.

أيضاً ، في المزامير أمرٌ مستغرب أنَّ الأقوال التي يتفوه بها القدّيسون في الكتب الأخرى، إذا عرفها السامعون يظنّون أنَّ المكتوبَ عنهم هم أناسٌ آخرون وليس هم ذاتهم. لكن الذي يتلو كتاب المزامير فيتعاطاه بمثابة قول شريف يتخشع له وكأنه معنيٌّ به شخصياً ، ويَقيس نفسه على أقوال التسابيح وكأنها خاصة به. فلا نكسلن، إبتغاء للإيضاح، أن نعود فنقول نظير المغبوط بولس الرسول إن ثمة كلمات كثيرة هي خاصة برؤساء الآباء، وهم تلفظوا بها. فموسى هو الذي كان يتكلّم واللّه يُجيبُ. والنبي إيليا وأليشع بجلوسهما على جبل الكرمل، كانا يستدعيان الربّ ويقولان: «حيٌّ هو الربُّ الذي أقمنا اليومَ لديه». كذلك سائر أقوال الأنبياء القديسين الآخرين التي كان البعض منها مقولاً عن المخلص. وبعدها وردت كلمات كثيرة عن الأمم واسرائيل. لكن لا أحد قط إدعى أنها خاصة به، حتّى ولا أقوال رؤساء الآباء.

ولا يتجاسر أحد أن يقول متباهياً بأن أقوال موسى هي عنه هو، ولا الذي تكلّم به إبراهيم عن ضرورية فلا يتجاسر أن يتكلّم بها كخاصة لهُ، ولو ساوى أحدٌ النبيين في الولوع والشوق إلى الأفضل، لا يمكنه أن يقول كما قال موسى: «أظهر لي ذاتك» ولا ينتحل أقوال الأنبياء ويجعلها كأقوال خاصة به في مدح أو ذمٍّ أحد من الناس قائلاً مثلها لمن مَدَحوا أو ذمّوا. ولا يتجاسر أحدٌ أنْ

يقول مناضلاً كمن ذاته: «حيٌّ هو الربُّ الذي مثلتُ بحضرته أنا اليوم»، لأن الأمر واضحٌ أنَّ مقتبل الكتب لا يتخذ الأقوال كأنها لذاته بل كأقوال القديسين وأقوال الذين يعبّر عنهم. واما الذي يتلو المزامير فيحدث له غير ذلك، لأن كل ما قيل في المخلص وفي الأمم يتكلم به المرء كأقوال نفسه ويرتلها وكأنها محرَّرةً من أجله ولا يتعاطاها وكأنها معبرة عن شخص آخر ولا محرّرة من قبل غيره، ولكنه ينظر إلى المتكلم بها كعن ذاته وكأنه هو العامل ما قد قيل فيها، ويقربها إلى اللّه ناطقاً بها من نفسه هو غير عازل نفسه عنها من حيث هي أقوال رؤساء القبائل وموسى وألأنبياء.

والسبب هو أن الذي يحفظ الوصية أو يخالفها، كلاهما مشمول بالمزامير.وهذا شيء لازم وضروري أن ينحو كل انسان بهذين الأمرين فيتلو الأقوال المكتوبة بشأن كليهما معاً إما كحافظ الوصية أو كمخالفها. وفي ظني أنها تكون لمرتّلها بمنزلة مرآة يرى فيها حركات نفسه ويحسّ بها، فان إقتبلها فهو يتوبّخ من ضميره ويتخشّع بتوبة، أو يبتهج لسماعه بالرجاء إلى اللّه ويشكر على المساعدة التي تصير منه للمؤمنين. هكذا عندما ينشد المزمور الثالث ويرى أحزان ذاته، يستخص ما فيه من الأقوال. وكذلك في المزمور العاشر مع السادس عشر فكأنه يخبّر عن إتكاله على اللّه وصلاته إليه.

وإن رنّم **المزمور الخمسين** فكانه **هو القائل أقوال التوبة**. ومتى رتّل المزمور الثالث والخمسين، والسادس والخمسين، والمائة والحادي وألأربعين، يظن نفسه أنّه هو المطرود والمتأذّي وليس غيره، كما يرتّل هذه الأقوال إلى اللّه وكأنها له هو. وبألإجمال إن كلّ مزمور منبثق من الروح كما ذكرنا، فيه نرى حركات نفوسنا وكأنها أقوالنا تذكّراً لما فينا من الحركات وتثقيفاً لسيرتنا. هذه كلها تفوَّه بها المرتلون ولعلها لنا رسمٌ ومثالٌ.

هذه هي نعمة المخلّص الذي صار إنساناً من أجلنا قرَّبَ جسدّهُ للموت فداءً لنا. أمّا تصرّفه السماوي وألأرضي فقد رَسَمَهُ في ذاته ليكون للمؤمنين **نموذجاً للغلبة على المحال**، فلا ينخدع أحدٌ منَ شر العدوِّ. من أجل ذلك بما أنَّ السيدَ علّم لا بالقول بل بالعمل أيضاً، فليسمع منه كلُّ واحد وينظر اليه كإلى صورة ويتخذه قدوة في العمل لأنه قال: «تعلّموا مني فاني وديعٌ ومتواضعُ القلب». هذا ولا يمكن لأحد من الناس أن يجد تعليماً للفضيلة أكملَ من الذي رسَمَهُ ربُّنا في ذاته ، سواء بالنسبة لعدم الشرِّ أو محبّة البشر أو الرجوليّة أو الرحمة أو العدالة. كُلُّ هذه يجدها صائرة فيه. ولا ينقص أحداً شيءٌ من الفضيلة إن إعتبر عيشة ربّنا البشرية التي كان يعلّم بها بولس الرسول فيقول: «صيروا مقتدين بي، كما أنا بالمسيح». وهذا لم يحدث لحكماء اليونانيين الذين كانت بهجتهم على قدر سلامهم.

أما الرب فبما أنَّهُ إلهُ الجميع بالحقيقة والمعتني بما صنع لا يشترع فقط بل يدفع ذاتهُ مثالاً للذين يريدون أن يعرفوا قدرة العمل، لذا وقبل حضوره بالجسد، جعل هذا الأمر للمرتّلين أنَّهُ كما أظهر في ذاته رسمَ الأنسان السماوي الكامل كذلك يقدر كل من أراد أن يتأمل ويختبر من المزامير حركات وأطباع النفوس، كما يلقى فيه دواءَ كُلّ حركة وتقويمها. وان كانت ثمة حاجة إلى برهان أقوى نقول إن كلّ **كتاب إلهيّ يعلّم الفضيلة والأيمان الحقيقي** ، فيما يحتوي مصحف المزامير على **صورة الأستسارة ، والإستنارة وملجأ لتقويم النفوس**. وكما أنَّ الذي يدخل إلى ملك يتزيّا بصفة وأقوال لئلا يُعَيَّرُ بأنه عديمُ الأدب اذا تكلم بخلاف ذلك، كذلك المصحف أيضا. فكلّ من كان ساعياً إلى الفضيلةَ ومريدا أن يعتبر سيرة المخلّص وتصرّفهُ بالجسد يتذكره أولاً بتلاوته شريعة النفس ثم يعمل ويعلّم بمثل هذه الأقوال.

+ كتاب المزامير مصنّفاً:

ليتأمل كلٌّ واحد من البشر أولاً ما هو لهذا المصحف أن بعضاً من المزامير مقولةً على **سبيل الحكاية**، وبعضها على **سبيل النصيحة**، وبعضها على **سبيل الأعتراف**. فالتي على **سبيل الحكاية** هي: العاشر ، والثالث والاربعون، والثامن والاربعون، والتاسع والاربعون، والخمسون، والسادس والثمانون، والثامن والثمانون، والمائة والتسعة، والمائة والثالث عَشَرَ، والمائة والسادس والعشرون، والمائة والسادس والثلاثون.

وأمّا التي على **سبيل الضراعة** فهي: المزمور السادس عَشَرَ، والسابع والستون، والتاسع والثمانون، والمائة والواحد، والمائة والواحد والثلاثون، والمائة والواحد وألأربعون.

وأمّا التي في **سعادة وضراعة وتوسّل** فهي:
الخامس، والسادس، والسابع، والحادي عَشَرَ، والثاني عَشَرَ، والخامس عَشَرَ، والرابع والعشرون، والسابع والعشرون، والثلاثون، والرابع والثلاثون، والسابع والثلاثون، والثاني وألأربعون، والثالث والخمسون، والرابع والخمسون، والخامس والخمسون، والسادس والخمسون، والثامن والخمسون، والستون، والثالث والستون، والثاني والثمانون، والخامس والثمانون، والسابع والثمانون، والمائة والسابع والثلاثون، والمائة وألأربعون.

وأما **ذو الاعتراف** فهو: الخمسون، والستون،
و**ذو التهليل والقيامة** فهو: الخامس والستون.
وهناك مزمور واحد **للتهليل** وهو التاسع والتسعون.

يتبع في العدد القادم

الدنيا إذا أقبلت على أحدٍ خلعت عليه محاسن غيره وإذا أعرضت عنه سلبته محاسن نفسه .

مَن إصفرَّ وجهه من النصيحة . إسودَّ وجهه من الفضيحة .

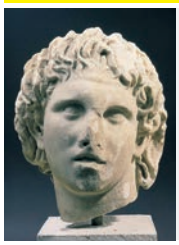

قيلَ للإسكندر ما سرور الدنيا ؟
قال: الرضى بما رُزقت .
فقيلَ ما غمُّها ؟
قال: الحرص عليها.

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

يتقدّس مكان القدّاس الإلهيّ وزمانه «بالذي يعلو على الزمان والمكان ويفوق كلّ إسم وإدراك» (إكليمندوس الإسكندري). المسيح وهو في السماوات ، هو أيضاً معنا في القدّاس الإلهيّ. ليس معنا فقط لكنّه يأتي ليقيم فينا. ويقول الذهبيّ الفم: «إفتكروا أنتم يا مَن تشتركون في جسد المسيح ، وتتذوّقون ذاك الذي يجلس فوق ، المسجود له من الملائكة ، والقائم في القوّة التي لا يعروها فساد». المسيح يناول نفسه بيديه الكلّيّتي الطهارة للكاهن ، ومنه ﴿لكل الشعب﴾ . فيغدو المسيح فَرَحاً عظيماً لكلّ الشعب».

ويقول الشمّاس : لنصغ
الكاهن: يرفع الخبز المقدّس ويقول: القدسات للقدّيسين.
الشعب: قدّوسٌ واحد. ربّ واحد. يسوع المسيح في مجد اللّه الآب. آمين
وبعدها يرتّل كينونيكون اليوم (أي تسبيحة الشكر) .

* القدسات للقديسين

جسد المسيح المقدّس ودمه الكريم هما القدسات التي ينبغي منحها لمناولة القدّيسين. المسيح هو القدّوس الواحد والوحيد. الربّ الواحد والوحيد. بإمكاننا نحن أن نُدعى قدّيسين ، فقط لأنّنا نقتبل قداسته: «يدعى المؤمنون قدّيسين بسبب القدّوس الذين يتناولون جسده ودمه». (القديس نيقولاوس كاباسيلاس).

المسيح «هو نفسه نبع كلّ الصالحات وأصلها ، هو الحياة نفسها ، النور عينه ، الحقّ ذاته». وهو «لا يحتفظ لنفسه بغنى الصالحات لكنّه يفيض به على البَشر كافّة ولا يَفرُغ أبداً». (القديس يوحنا الذهبي الفم) ولما كان هو نبع القداسة نفسها ، فإنّه يوزّعها في كلّ مكان فيقدّس الكنيسة ، وأما نحن كلّنا الذين نتّحد بجسده المقدّس ، فنتقبّل ملء قداسته.

ويقول الكاهن: «**القدسات للقديسين**». فيشرح القديس يوحنا الذهبيّ الفم: «يقف الكاهن منتصباً كأحد الوعّاظ رافعاً يديه ، ولمّا يغدو منظوراً من الجميع ، عندها يرفع صوته عالياً وسط ذلك السكون الرهيب فيدعو بعضاً إلى المناولة ويمنع آخر عنها. وهو لا يفعل ذلك بإشارة اليد بل بحركة اللسان فقط... فهو عندما يقول: ﴿القدسات للقديسين﴾ إنّما يقصد ما معناه : لا يقتربنّ مَن ليسَ قدّيساً. فالقديس ليسَ مَن غابت عنه الخطيئة ، ولكن مَن كان الروح القدس حاضراً فيه وغدا مستودعاً غنيّاً بالأعمال الصالحة. كأنّي به يقول بكلمات أخرى: لا أرغب في أن تكونوا منعتقين فقط من الحمأة بل أن تكونوا متوشّحين بالحسنُ ومرتدين الحلّة البيضاء».

«لا يجوز لأيّ إنسان الإقتراب من الأسرار الطاهرة ... لذا لا يدعو الكاهن كلّ واحد ، بل أولئك فقط الذين يسيرون نحو القدسات: القدسات للقدّيسين ... وهو لا يقصد هنا بعبارة ﴿القدّيسين﴾ فقط أولئك الذين بلغوا كمال الفضائل ، ولكنّه يحصي معهم أولئك الذين يغصبون ذواتهم في سبيل بلوغ هذا الكمال ، لكنّهم لم يدركوه بعد. وليس من مانع يحول دون أن يتقدّس هؤلاء باشتراكهم في الأسرار المقدّسة». (القديس نيقولا كاباسيلاس).

* قدّوسٌ واحد،ربّ واحد ، يسوع المسيح

وعلى إعلان الكاهن ﴿القدسات للقديسين﴾ يجيب المؤمنين بدورهم: قدّوس واحد، ربّ واحد، يسوع المسيح ، لمجد اللّه الآب. جوابهم هذا يشكّل إعترافاً «أنّنا قد تقدّسنا بالإبن الوحيد المتجسّد والمصلوب، وأنّنا أُعتقنا من الموت وأحرَزنا عدم الفساد». «فليس أحد بمقدوره أن يقتني التقديس بنفسه ، لأنّ القداسة نتيجة تحصيل فضيلة بشريّة ، إنّما يحرزها الجميع من الربّ وبفضله. فكما لو وُضعَت تحت الشمس عدّة مرايا فإنّها ستتلألأ بطبيعة الحال وتُرسل أشعتها فتخال أنّك ترى شموساً عديدة، إلاّ أنّ الشمس هي واحدة في الحقيقة وهي التي تضيء الجميع. وعلى المنوال نفسه فإنّ القدّوس واحد ، وهو ينسكب على المؤمنين ويتجلّى في نفوس كثيرين ويُظهر قدّيسين ، إلاّ أنّ القدّوس واحد أحد».

وبينما الربّ القدّوس أمامنا، تقترب لحظة المناولة المقدّسة «عندئذ يعتلن إعتراف الشعب كلّه ، بهتافه: " قدّوس واحد " . إنّ الإلتئام السريّ إنّما هو إلتئام يفوق كلّ منطق ويسمو على كلّ عقل ، أمّا الوحدة فهي وحدة بالواحد الأحد لأولئك الذين بلغوا الكمال بحسب اللّه بحال سريّة. إنّها وحدة ستتمّ في أبديّة " العقليّات " غير الفاسدة. هناك في تلك الأبديّة ، يعاين أولئك الذين اقتبلوا الكمال نور المجد غير المنظور الذي لا يوصف ويقتبلون النقاوة الإلهيّة على مثال القوّات السماويّة» وأما الكنيسة فتدعو في القدّاس الإلهيّ: «مَن كان قدّيساً فليقترب ، ومَن لم يكن فليَتُبْ. تعال أيّها الربّ يسوع. آمين» .

يتبع في العدد القادم

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء المنارة الذهب (٦)

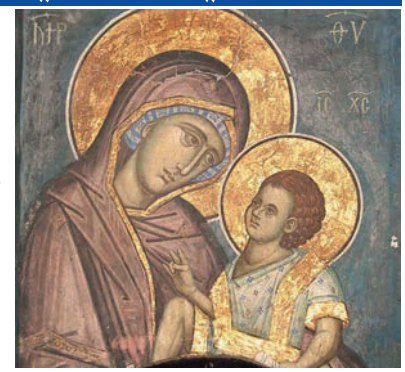

«وكلّم الربّ موسى قائلاً: وتصنع منارةً من ذهب نقيّ. عمل الخراطة تُصنَع المنارة قاعدتها وساقها. تكون كاساتها وأزهارها منها * وست شُعَب خارجةٌ من جانبها. من جانبها الواحد ثلاث شُعَب منارة. ومن جانبها الثاني ثلاث شُعب منارة * وفي الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزيّة بعُجرة وزهر. وفي الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزيّة بعُجرة وزهر. وهكذا إلى الست الشعب الخارجة من المنارة * وفي المنارة أربع كاسات لوزيّة بعُجرها وأزهارها * وتحت الشعبتين منها عُجرة وتحت الشُعبتين منها عُجرة وتحت الشعبتين منها عجرة إلى الست الشُعب الخارجة من المنارة * تكون عُجرها وشُعبها منها. جميعها خراطةٌ واحدة من ذهب نقيّ * وتصنع سُرجها سبعةً. فتُصعد سُرجها لتضيء إلى مقابلها. وملاقطها ومنَافضها من ذهب نقيّ. من وزنة ذهب نقي تُصنع مع جميع هذه الأواني * وانظر فاصنعها على مثالها الذي أُظهِرَ لك في الجبل» (خروج ٢٥: ٣١–٤٠).

لم تكن المنارة لمجرّد الإضاءة فحسب ، وإنّما كانت جزءاً لا يتجزأ من الطقس التعبّدي ، لها مفاهيمها اللاهوتيّة الروحيّة. فالنور يذكّرنا باللّه الذي أوجده كأوّل أعمال خلقته (تك١: ٣) ، في النور يسكن اللّه ، من نوره جاز السحاب (مز١٧: ١٢) ، وبالنّور يلتحف (مز١٠٣: ٢) ، هو نور شعبه (أش١٠: ١٧) ، يضيء عليه بمجيئه لخلاصه (أش٩: ٢) ، كما يضيء على الأمم والشعوب (أش ٤٢: ٦ و ٤٩: ٦) ، ليحوّلهم من أبناء الظلمة إلى أبناء النّور.

وكما أنّ السيّد المسيح هو نور العالم (يو ١: ٤ و ٨: ١٢). فبإشراقه على تلاميذه جعلهم نوراً للعالم (مت٥: ١٤و١٦) ، بهذا نرى الكنائس في سفر الرؤيا في شكل منابر سبع (رؤ١: ١).

لذالك إعتبرت العذراء والده الإله ، أيضاً **المنارة الذهب النقيّ الحاملة المصباح المتّقد** في كل حين الذي هو نور العالم الغير مقترب إليه، النور من النور الذي لا يعتريه مساء. هكذا ننشد في الهجمة عند الدورة خارج الكنيسة في عيد الفصح: **هلمّوا خذوا نوراً من النور الذي لا يغرب، ومجّدوا المسيح الناهض من بين الأموات.**

فالعذراء مريم هي أم النور، وهكذا ندعوها في سحريّة القدّاس الإلهي (التسبحة التاسعة) :

الكاهن: **لوالدة الإله وأم النّور بالتسابيح نعظّم مكرّمين:**

الخورس: يا من هي أكرم من الشروبيم وأرفع مجداً بغير قياس من السرافيم التي بغير فساد ولدت كلمة اللّه وهي حقّاً والدة الإله إيّاك نعظّم.

وكذلك الكنيسة في صلواتها تنشد بصوت المرنّم قائلة:

١) عيد ميلاد والدة الإله ٨ من أيلول:

« إنّ مريم العذراء النقيّة وحدها ووالدة الإله حقّاً قد بزغت لنا اليوم مثل غمامة النّور. ووفدت علينا من الصدّيقَين شَرَفاً لنا. فآدم لَن يُقضَى عليه فيما بعدُ. وحوّاء قد أُطلقت من القيود فلذلك نهتف نحوها صارخين إنّ ميلادك يبشّر كل المسكونة بالفرح» (الأرمس)

٢) دخول سيّدتنا والدة الإله إلى الهيكل ٢١ تشرين الثاني:

«ليبتهجنّ داود كاتب التسابيح. وليرقصنّ طرباً يواكيم وحنّة. لأنّهم من نسلهم جاء نتاجٌ مقدّس هو مريم المصباح الإلهيّ النيّر. وهي تُسَرُّ بدخولها إلى الهيكل. وابن باراك لما رآها باركها. وصرخ فرحاً يقول إفرحي يا أعجوبة العالم بأسره.» (الكاثسمة لحن ٨).

٣) حبل القديسة حنّة بوالدة الإله ٩ كانون أوّل:

« اليوم تُقام في بطن حنّة بإشارة اللّه صانع كلّ الأشياء السماء الجديدة. التي أشرقَت منها الشمس التي لا تغرب. أعني المحبَّ البشر الوحيد. الذي ينير بأشعّة لاهوته العالم كلَّه عن فرط تحنّنٍ ورأفة » (الكاثسمة الأولى).

٤) عيد حافل لوالدة الإله ٢٦ كانون أوّل:

« إنّ مُلكك أيّها المسيح الإله مُلك جميع الدهور. وسيادتك في كلّ جيل فجيل. فإنّك بحضورك يا مَن تجسَّد من الروح القدس وتأنّس من مريم العذراء الدائمة البتوليّة. قد أشرقتَ لنا بالنّور. وأبهجت الخليقة كلّها أيها النور وشعاع الآب. فكلُّ ذي نسمة يسبّحك يا رسم مجد الآب. فيا أيّها الأزليُّ السرمديُّ. اللهمَّ يا مَنَ بَزغ من العذراء إرحمنا» (إيديومالات العيد ـ صلاة الغروب).

٥) عيد بشارة والدة الإله ٢٥ آذار:

« إفرحي أيّتها السيّدة العذراء الكليّة النقاوة. إفرحي يا مقرّ اللّه، إفرحي يا منارة النّور، إفرحي يا استعادة آدم . ونجاة حوّاء. والجبل المقدّس. والمَقدس الشهير. وخدر الخلود» (سحريّة العيد).

٦) عيد رقاد والدة الإله ١٥ آب:

« إنّ العروس البريئة من كلّ العيوب. وأم الذي سُرَّ به الآب. التي عيّنها اللّه بسابق تحديده لتكون مسكناً لهُ بالإتحاد الذي لا تشوّش فيه. تودع اليوم نفسها الطاهرة عند اللّه الخالق. فتستقبلها قوّات الملائكة العديمي الأجساد إستقبالاً لائقاً. فتنتقل إلى الحياة. وهي أمّ الحياة حقّاً. ومصباح النور الذي لا يدنى منهُ. وخلاص المؤمنين.ورجاء نفوسنا» (ستيشارات ـ صلاة الغروب).

في أسرار الربّ المقدّسة الطاهرة

للقديس يوحنا الدمشقي

المسيح هو المُقَرِّبُ والمُقَرَّب ، والقابِلُ والموزَّع

تدبيرُ خلاص البشر:

ـ لمّا كان اللّه صالحاً وكامل الصلاح وفوق الصلاح وكان كلّه من الصلاح ، وكان ـ لسبب فيض غنى صلاحه ـ لم يحتمل أن يكون الصلاح له وحده ـ أي لطبيعته ـ دون أن يُشارك به أحداً ، فقد جعل هبة صلاحه للقوّات السماويّة العقليّة أولاً ، ثمّ للعالم المنظور والمحسوس ، ثمّ للإنسان المركّب من معقول ومحسوس. إذاً فإنّ جميع مَن أوجدهم قد أشركهم بصلاحه من حيث وجودُهم ـ لأنّه هو نفسه الوجود لجميعهم و «لأنّ كلّ شيء هو به» ـ لا لأنّه هو نفسه قد أخرج الكلّ من العدم إلى الوجود فحسب ، بل أيضاً لإنّ فعله تعالى يحفظ كلَّ ما كوّنه ويُبقيه في الوجود، وخاصّة الكائنات الحيّة. فإنّها بحسب وجودها وبحسب بقاء حياتها في الوجود تشترك بصلاحه. وبالأحرى كثيراً الكائنات الناطقة ـ إنْ بحسب ما سبق قوله وإنْ بحسب ذاك الناطق (الإنسان) ـ فما أقربه إليه تعالى رغم أنّ اللّه هو الأسمى سمّواً لا قياس له !!! .

وعليه فإنّ الإنسان ـ لكونه ناطقاً وحرّاً ـ قد نال سلطاناً للإستمرار ـ لو أراد ـ متّحداً باللّه ، شريطة أن يبقى في الصلاح أي في الخضوع للخالق. لكنه لما انحدر إلى مخالفة وصيّة جابله وسَقط تحت عقاب الموت والفساد، ما كان من جابل جنس البشر وصانعه إلاَّ أن يتشبَّه بنا ، مدفوعاً لذلك بأحشاء رحمته وصائراً إنساناً في كلّ شيء ما عدا الخطيئة ، ويتّحد بطبيعتنا. ولمّا كان قد أعطانا صورته الخاصّة وروحه الخاصّ ولم نحافظ عليهما ، فقد شارَكنا هو نفسه في طبيعتنا الحقيرة والضعيفة ، لكي ينقّينا وينزع عنّا الفساد ويجعلنا من جديد شركاءَه في لاهوته.

مفعول التجسّد في متروكات المسيح للبشر:

ـ وكان ينبغي ألاَّ ينحصر الإنعام بالحياة الفضلى في الباكورة فحسب. بل أن يتجاوزها إلى كل إنسان يريده. ذلك بأن يولَد الإنسان ولادة ثانية ، وأن يغتذي بغذاء ملائم لهذه الولادة فيصل إلى مقدار الكمال. فالمسيح إذاً بميلاده ـ أي بتجسّده ومعموديّته وآلامه وقيامته ـ ، قد أعتقَ طبيعة خطيئة أبينا الأوّل من الموت والفساد. وصارَ باكورة قيامتنا ، وجعل من ذاته طريقاً لنا ورمزاً ومثالاً ، حتى إننا نحن أيضاً ، إذا ما اتّبعنا آثاره ، نصير بالوضع ما هو عليه بالطبيعة ، أبناءً وورثة اللّه وشركاء في الميراث ، فهو إذاً قد أعطانا ـ كما قلت ـ أن نولد ثانية حتى إنّنا ، كما وُلدنا من آدم فماثلناه وورثنا عنه اللعنة والفساد ، كذلك أيضاً بولادتنا منه نماثله فنرث عنه عدم الفساد والبركة والمجد.

الولادة في المسيح والطعام المزدوج:ـ

تأسيس الإفخارستيّا:ـ أَكَلَ المسيح الفصحَ القديم: ـ

ولمّا كان آدم هذا روحيّاً ، وجَب أن تكون الولادة روحيّة أيضاً والطعام أيضاً كذلك. ولكن لمّا كُنّا مزدوجين ومركّبين ، وجب أن تكون الولادة أيضاً مزدوجة والطعام كذلك مركّبا. فإنّ الولادة إذاً تُعطى لنا بالماء والروح ـ وأعني بذلك المعموديّة المقدّسة ـ أما الطعام فهو خبز الحياة نفسه ، ربّنا يسوع المسيح ، النازل من السماء. ولمّا كان مزمعاً باختياره أن يستسلم للموت لأجلنا ، في الليلة التي قرَّب فيها ذاته ، **وضع عهداً جديداً لتلاميذه الرسل القديسين** ـ وبواسطتهم لجميع المؤمنين به ـ ففي عليَّة صهيون المقدّسة المجيدة ، فيما كان يأكل الفصح القديم مع تلاميذه ويكمّل العهد القديم. غَسَل أقدام تلاميذه ، رامزاً بذلك إلى المعموديّة المقدّسة ، ثمّ كسَر خبزاً فقدّمه لهم قائلاً: «خذوا فكلوا ، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم لمغفرة الخطايا» ، وكذلك أخذ أيضاً الكأس من خمر وماء وقدّمه لهم قائلاً: «إشربوا من هذا كلّكم ، هذا هو دمي ، دمُ العهد الجديد ، المهراق عنكم ، لمغفرة الخطايا. إصنعوا هذا لذكري. فكلَّ مرّة تأكلون هذا الخبز وتشربون هذه الكأس ، تُبَشّرون بموت ابن الإنسان وتعترفون بقيامته ، إلى أن يأتي» (متى ٢٦:٢٧).

إعلانُ حقيقة الإفخارستيّا: ـ

مفعول كلمات الربّ في الإفخارستيّا: ـ

مفعول الروح القدس الذي يجعل من خبز جسد الرب: ـ

ولمّا كان «كلام اللّه حيّاً ونافذاً» و «كلّ ما شاء الرب صنعه» (مزمور ١٣٤:٦). ولمّا كان قد قال: «ليكن النور فكان. ليكن الجَلَد فكان» (تك١:٣و٦). وأنّه «بكلمة الربّ صُنِعَت السماوات وبروح فيه جنودها» (مز٣٢:٦). وإذا كان كلمة اللّه نفسه قد شاء فصار إنساناً وشَخَّصَ لذاته جسداً بلا زرع من الدماء النقيّة والبريئة من العيب ، دماء القديسة العذراء الدائمة البتوليّة مريم ، أفلا يستطيع هو نفسه أن يجعل من الخبز جسده ومن الخمر والماء دَمَه ؟! ثمّ

في البدء قال الربّ: «لتنبت الأرض نباتاً عشباً ... »، وحتى الآن هي لدى هطل المطر ، تُخرج نباتها الخاص مدفوعة ومُسَيَّرة لذلك بالأمر الإلهيّ! وقد قال اللّه: «هذا هو جسدي وهذا هو دمي واصنعوا هذا لذكري وأنَّ هذا يكون بأمره القدير إلى أن يأتي». أجل ، فقد صرَّح هكذا: **إلى أن يأتي**. ثم ينزل المطر على هذا الحقل الجديد ، بواسطة الإستدعاء أي بقوّة الروح القدس المظلّلة. وعلى هذا النحو ، إنّ كلّ ما صنعه اللّه إنما صنعه بفعل الروح القدس ، وهو الآن يعمل كذلك بفعل الروح القدس ما هو فوق الطبيعة وما لا يمكن أن يقبله إلاّ الإيمان وحده. وتقول العذراء القدّيسة: «وكيف يكون لي هذا ، وأنا لا أعرف رجلاً ؟». وتتساءل أنتَ الآن: ـ كيف يصير الخبز جسد المسيح ويصير الخمر والماء دم المسيح ؟ ـ وأنا أقول لك: **يحلُّ الروح القدس ويصنعُ ما يفوق النطق والعقل**.

لماذا يُستعملُ الخبزُ والخمرُ في الإفخارستيّا : ـ

ونحنُ نستعمل الخبز والخمر ، ذلك لأنّ اللّه ـ وقد كان يعرف ضعفنا البشريّ بإنّ الأكثريّة فينا تنفر مستصعبةً ما هو ليس على مألوف عادتها ـ قد استعمل إذاً معنا تنازلَه المعتاد ليُجريَ فينا ما يفوق الطبيعة بما هو من عادة الطبيعة. وقد فعل على هذا النحو في المعموديّة حيثُ العادة لدى البَشر أن يستحمّوا بالماء ويدهنوا بالزيت. وقد أضاف إلى الزيت والماء نعمة الروح القدس وجعل من هذا نفسه حميم إعادة الولادة. وكذلك ، لـمّا كانت عادة الناس أن يأكلوا الخبز ويشربوا الماء والخمر ، فقد أضاف إلى ذلك لاهوتَه وجعل منهما جسده ودمه ، لكي نبلُغَ ـ بما هو من عوائدنا وعلى موجب طبيعتنا ـ إلى ما هو فوق الطبيعة.

في الإفخارستيّا لا يصيرُ تنزيلُ المسيح من السماء بل تحويلُ العناصر: ـ

والقربان إنما هو جسدٌ بالحقيقة متّحد باللاهوت ، وهو الجسد المأخوذ من العذراء القديسة ، ليس على أنّه الجسد الذي كان قد ارتفع إلى السماء ينحدر منها ، بل إنَّ الخبز نفسه والخمر نفسه **يتحوّلان إلى جسد اللّه ودمه**. وإذا تساءلتَ عن الطريقة كيف حدث ذلك، فيكفيك أن تسمع بأنَّ ذلك يتمّ بالروح القدس. وكما أنّ الربّ قد شَخَّصَ لذاته وبذاته جسداً بواسطة الروح القدس من والدة اللّه القدّيسة ، ولسنا نعرف أكثر من ذلك سوى أنّ كلام اللّه صادقٌ ونافذٌ وقديرٌ ولا يمكن تفسير كيفيّته ، غير أنّه ليس مستهجناً أيضاً هذا القول بأنّه ، كما يتحوّل تحويلاً طبيعيّاً الخبز بالأكل والخمر والماء بالشرب إلى جسد ودم الآكل والشارب ، ولا يتحوّلان إلى جسم آخر غير جسمه الأوّل ، كذلك قُل عن خبز التقدمة والخمر والماءِ باستدعاء الروح القدس وحلوله. فإنّهما يتحوّلان تحويلاً يفوق الطبيعة إلى جسد المسيح ودمه. ولا يكونان إثنين ، بل هما واحد وهو هو نفسه.

وعليه يكون لمن يتناوله بإيمان وعن إستحقاق لمغفرة الخطايا وللحياة الأبديّة ولصيانة النفس والجسد. أما للذين يتناولونه عن غير إستحقاق وبدون إيمان ، فيكون لعقابهم وتعذيبهم، شأنه شأن موت الربّ. فهو للمؤمنين حياة وعدَم الفساد ويؤدّيان إلى التمتّع بالسعادة الأبديّة. وهو لجاحدي الرب وقاتليه يكون لعقابٍ وعذاب أبديّين.

القديس يوحنا الدمشقي

جسد الربّ حقيقة وليسَ رمزاً:

ليس الخبز والخمر رمزَيْن لجسد المسيح ودمه ـ **حاشا** ـ بل هو جسد الربّ نفسه متألّهاً ، جسد الربّ الذي يقول هو نفسه: «هذا ليسَ رمز جسدي ، **بل جسدي** ، ولا رمز دمي ، **بل دمي**». وكان قبلاً قد قال لليهود: «إن لم تأكلوا جسد إبن البشر وتشربوا دمه ، فلا حياة في أنفسكم ... لأنّ جسدي مأكل حقيقي ودمي مشرب حقيقي» (يو ٦: ٥٣ـ٥٧). وأيضاً «مَن يأكلني يَحْيَ».

رتبة منح الإفخارستيّا بالأيدي: ـ

لذلك لنتقدّم بكل تهيّب وبضمير نقي وبإيمان لا يتزعزع ، ـ ويكون لنا تماماً كما نؤمن. إذا لم نتردّد ـ ولنكرّمنّ إيّاه بكل نقاوة نفسيّة وجسديّة ، لأنّه مزدوج. لنتقدّمنَّ إليه بشوق مُلتهب ، ممثلين براحتينا شكلَ صليب ونتقبّل جسد المصلوب. ولدى تناولنا الجمرة الإلهيّة ، نضعها على عيوننا وشفاهنا وجبهاتنا ، لكي ـ إذا ما نارُ الشوق التي فينا استمدّت الحرارة من الجمرة ـ تُحرق خطايانا وتُنير قلوبنا ونلتَهب ونتألّه بمساهمة النّار الإلهيّة. فقد أبصرَ أشعياء **جمرة** (أشعياء ٦:٦). والجمرة ليست مجرّد عود ، بل هي عودٌ متّحد بالنّار. كذلك أيضاً خبز الشركة. فهو ليس مجرّد خبز. بل هو خبزٌ متّحدٌ باللاّهوت. والجسد المتّحد باللاّهوت ليس طبيعة واحدة ، بل هو طبيعة الجسد وطبيعة اللاّهوت المتّحد هو به ، حتى إنّ كليهما ليسا طبيعةً واحدة ، بل هما إثنتان.

رموز الإفخارستيّا : ـ

لدى عودة إبراهيم من كَسر أعدائه ، إستقبله ملكيصادق، كاهن اللّه العليّ بخبز وخمر. وكانت تلك المائدة قد سَبَقَت وصَوَّرت المائدة السريّة هذه ، كما أنّ ذاك الكاهن كان رمزاً وصورة للمسيح الكاهن الأعظم الحقيقيّ ، لأنّ النبيّ يقول: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكيصدق» (مز١١٠: ٤). وخبزات التقدمة تلك كانت صورة لهذا الخبز. هذه هي إذاً الذبيحة الطاهرة أي غير الدمويّة التي تكلّم عنها الربّ بلسان النبي: «إنّها تُقَرَّب له من مشارق الشمس إلى مغاربها». (ملاخي ١: ١١) .

ثمار الإفخارستيّا : ـ

إنّ جسد المسيح ودمه يؤولان إلى قيام نفسنا وجسدنا. **وحاشا** أن يكون ذلك إلى أن يتبدّدا ويَفْسُدا ويصيرا إلى خارج! بل هو إلى تكويننا ووقايتنا من كلّ الأضرار وتطهيرنا من كلّ الأدناس. فإذا وجدا فينا ذهباً مغشوشاً يُنقّيانه بالنّار المطهّرة. لئلا يحكم علينا في المستقبل مع العالم. لأنّهما يُنقّياننا من كلّ الأمراض ومن كلّ عارض يَدهمُنا ، كما يقول الرسول الإلهيّ: «ولو كنّا نَدينُ أنفسنا

لما كُنّا نُدان. وفي دينونتنا هذه إنّما يؤدّبنا الربّ لئلا يُحكَم علينا مع العالم» (١كو١١: ٣١-٣٢). وهذا هو قوله: «لأنّ مَن يأكل ويشرب جسد الربّ ودمه وهو على خلاف الإستحقاق، إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه» (١كو١١: ٢٩). أما إذا تطهّرنا به فنتّحد بجسد الرب وبروحه ونصيرُ جسد المسيح.

خبز المستقبل أو الخبز الجوهري :ـ
جسد الربّ بمعناه الروحي: ـ

وهذا الخبز إنما هو مقدمةٌ للخبز المستقبل وهو الجوهري إيبيوسيوس ἐπιούσιος . والجوهري يعني إمّا **الآتي** أي **الدهر الآتي أو المأخوذ لحفظ جوهرنا**. فإن كان هو على هذا النحو أو ذاك، فهو يسمَّى عن جَدارَة جسد الربّ، لأنّ جسد الربّ روحٌ محيي، إذ إنّه قد حُبِل به من الروح المحيي. والمولودُ من الروح روح. وإنما أقولَ هذا، لا لأنفي طبيعة الجسد، بل لأنّي أريد أن أُوضِح ما فيه من قوّة محيّية وإلهيّة.

ما معنى تسمية القديس باسيليوس الكبير الإفخارستيّا تمثيلَ جسد الرب ودمه: ـ

وإذا كان بعضهم يسمّي أيضاً الخبز والخمر تمثيلاً أو بديلاً أنتيتيبون ἀντίτυπον لجسد الربّ ودمه ـ كما يفعل ذلك باسيليوس اللابس اللّه ـ فلا يكون ذلك بعد التقديس، بل هم يسمّونه التقدمة نفسها هكذا، قبل تقديسها.

أسماء الإفخارستيّا الأخرى: ـ

وتسمّى الإفخارستيّا **تناولاً**، لأنّنا نتناول بها لاهوتَ يسوع وتُسمّى **شركة** ـ وهي بالحقيقة كذلك ـ لأنّنا بها نُشرك ذواتنا بالمسيح فنتقبّل جسده ولاهوته. وبها يشترك ويتّحدُ بعضنا مع بعض. ولمّا كُنّا نتناول خبزاً واحداً، فإنّنا نُصبح كلّنا جسد المسيح الواحد ودمه الواحد وبعضنا أعضاء بعض، لأنّنا جسم المسيح الواحد.

لا شركة مع الهراطقة: ـ

وعليه **فلنحذرْ بكلّ قوّتنا** من أن نقبل تناول الهراطقة أو نمنحهم إيّاه، لأنّ الربّ يقول: «لا تُعطوا القدس للكلاب ولا تُلقوا جواهركم قدّام الخنازير» (متى ٧: ٦). لئلا نصير شركاء في ضلالهم وفي الحُكم عليهم. ولمّا كان إتحادنا **حتماً** إتحاداً بالمسيح، وإتحاد بعضنا ببعض، فنحنُ نتّحد **حتماً** بجميع المتناولين معنا على حسب إختيارنا.

فبدءاً من إختيارنا يصير هذا الإتحاد وليس بدون عَزْمنا. والرسول الإلهيّ يقول: «إنّا نحنُ الكثيرين جسدٌ واحدٌ، لأنّا نشترك جميعاً في الخبز الواحد» (١كو١٠: ١٧).

ملاحظة:ـ وإذا دُعيَت القرابين أمثال المستقبلات، فليس يعني هذا أنّها ليست جَسد المسيح ودمه، بل ذلك أنّنا الآن نشترك فيها بلاهوت المسيح. أما حينئذٍ فبالمشاهدة العقليّة وحدها.

على من يجوز الإحسان

رَسمَ قدماء المصريين الإحسان بصورة ولد عريان في يده الواحدة قلب، وفي الأخرى عسل يقدّمه لنحلة فاقدة الجناحين.

أما صورة الولد فتدلّ على التواضع والوداعة، وأما القلب في اليد، فيرمز إلى وجوب إتّفاق القلب واليد في العطاء، وأمّا العسل المُقَدَّم للنحلة فيُشير إلى أنّ الإحسان لذيذٌ كالعسل، وأمّا كون النحلة بلا جناحين فإشارة إلى أنّه لا يجوز إلاّ لمن لا يقدر على العمل.

المرُوءة والوفاء

عشرة آلاف ليرة أُجرة كأس ماء بارد

سَقَطَ **القائد فديرال** يوم إشتدّت نيران الحرب في فرجينيا أمام صفوف الأعداء مُثْخَناً بالجراح مُخَضّباً بالدماء **يصرخ مُستغيثاً** لجرعة ماء، فَعَطَفَ عليه جنديٌ من عساكر الأعداء إسمه **جيمس مور** من **ولاية يَرك شماليّ كارولينا**، وأتاه بالماء ونيران المدافع وكراتها تتساقط كالأمطار الغزيرة من الفريقَيْن، فأخَذَ أصحاب **جيمس** يحذّرونه من الخطَر ويردعونه عن أن يلقي بنفسه إلى التهلكة، فلم يلتفت إليهم وظلّ يُسرع إلى عدوّه المستغيث في معمعة الموت الأحمر، حتى بلَغ إليه وكأس الماء بيده فسقاه. وكان مع ذلك القائد الصريع ساعة ذهبيّة فقدّمها للمنعم إليه فأبَى ذاك الجنديّ أَخْذَها، فسأله القائد عن إسمه فَقال إنّه **جيمس مور**. ثمّ رَجعَ **مور** إلى مركزه ولم يرَ أحدهما الآخر بعد ذلك. ثمّ رجع **جيمس مور** من الحرب بعد أن فقد بعض أعضائه في إحدى وقائع الحرب وعاد إلى بيته، ثم مضى عليه سنين عديدة وفي هذه المدّة بلغه خبر من **القائد فديرال** الذي سقاه كأس الماء في ساحة الحرب أنّه وهَبَ له **عشرة آلاف ليرة** جزاء صنيعه يُعطاها مدة أربع سنين أي يأخذ كل سنة ألفين وخمسمائة ليرة. فهوذا كأس ماء بارد لم يُضِع **أجر** الذي قدّمه بعد مدّة طويلة.

إن أصحاب المرؤة لا يبتغون أجرة ومكافئة على مرؤتهم ـ لأنّ المرؤة لا تُثَمَّن، لكنّ المرؤة تُعدّ لهم مكافئتهم وأجرهم في هذه الدنيا وفي الآخرة.

القديسان الملكان قسطنطين وهيلانة
وبناء كنيسة القيامة - القبر المقدس - في مدينة أورشليم

مطران بيروت الماروني يوسف إلياس الدبس ـ الجزء الثاني من تاريخ سورية الدنيوي والديني ـ المجلد الرابع (صفحة ٢٤٠-٢٤٣) ـ طبع في بيروت سنة ١٨٩٩

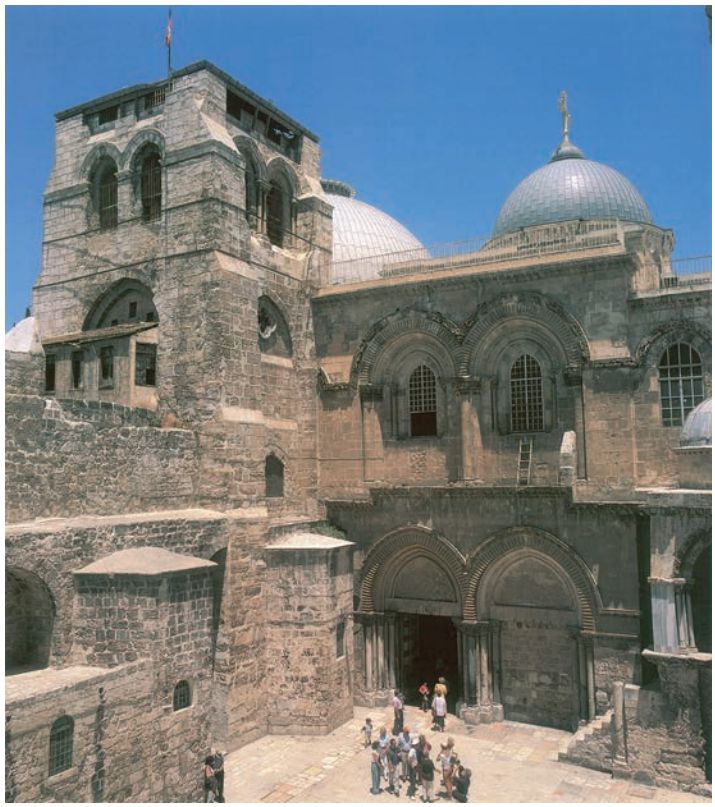

أنبأنا أوسابيوس (ك ٣ فصل ٢٥ وما يليه) ، وسقراط في الكتاب الأوّل من تاريخه (فصل ١٧) ، وسوزومانوس في الكتاب الثاني من تاريخه (فصل ١) ، وتوادوريطس في الكتاب الأوّل من تاريخه (فصل ١٧)، وكان أوسابيوس معاصراً لقسطنطين ومن ندمائه ، وسقراط وتوادوريطس وُلِدا في أواخر القرن الرابع ، وسوزومانوس في بدء القرن الخامس ؛ فكان هؤلاء الثلاثة في عهد قريب مما رووه وثقاة يتيسّر لهم أخذ الخبر عن المعاصرين وقدْ إتَّفَقَت رواياتهم معنىً ، وقَلَّما إختلفَت لَفظاً ، وهاك ملخّص ما أنبأونا به:

«إن **القديسة هيلانة والدة الملك قسطنطين الكبير** ـ مؤسّس الإمبراطوريّة الروميّة ـ شَخَصت إلى أورشليم رغبة في التعبّد وقد ناهزت الثمانين من عمرها ، وكانت أورشليم خربة بحسب نبوّات الأنبياء ، وكان الوثنيّون قد أقاموا في الجلجلة هيكلاً **للمشتري** وتمثالاً **لكوكب الزُّهرة** ليمتنع المسيحيّون من أداء فروض تعبّدهم هناك خشية أن يظنّ أنّهم يكرّمون الزُّهرة بسجودهم ، فلما بلغت الملكة المدينة المقدّسة أنقَت محلّ الجلجلة بنقضها أرجاس الوثنيين ، وأخذت تنقب ثمَّ آملة أن تعثر على الخشبة التي عُلِّقَ المخلّص عليها فحالَت دون مرامها مصاعب ، ولكن ما شاءَهُ اللّه كان مفعولاً فقد أداها جدُّها وثباتها المتواصل وصلوات القديس مكاريوس بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم حينئذ إلى الإهتداء إلى مغارة وُجِدَت بها ثلاثة صلبان **صليب المخلّص** وصليبي اللصين اللذين صُلِبا على يمينه ويساره ، وبقيّ اللُّبس في أيّـها هو صليب المخلّص ؛ فأخذ القديس مكاريوس يضرع إلى اللّه ليزيل اللبس ويبيّن بآيـة أيّـها هو **صليب المسيح** ، وكانت هناك إمرأة شريفة مريضة مرضاً عضالاً يئس الأطباء من برئها منه وكانت حينئذ محتضرة فوضع القديس مكاريوس الصليب الأوّل والثاني علىً رأسها فلم يظهر دليل على إبلاها من دائها ، ولمّـا وضع الصليب الثالث إنتعشت وفتحت عينيها وعاودتها العافيـة في محضر البطريرك والملكة هيلانة وجمهور من الناس ، فمجّد جميعهم اللّه مدهوشين شاكرين ، وَوَجَدَت الملكة هناك الدف الذي علّقه بيلاطس في أعلى صليب المخلّص مكتوباً عليه باللاتينيّة واليونانيّة والعبرانيّة: **يسوع الناصريّ ملك اليهود** والمسامير التي سُمِّرَت فيها يداه ورجلاه ، وَوَضَعَت جزءاً من الصليب في صوان من فضّة تركته فيَ أورشليم ليكرّمه الزائرون ، وأرسلَت الجزء الآخر إلى إبنها **الملك قسطنطين الكبير إمبراطور بلاد الروم**.

قال سقراط الذي كان عائشاً في القسطنطينيّة: إنّ أكثر سكان هذه المدينة يؤكّدون صحة هذا الخبر، وصاغَ **الإمبراطور قسطنطين الكبير** من أحد المسامير **حكمة لجواده** كان يستعملها إبّان الحرب.

وقد كتَبَ حينئذ **الملك قسطنطين** إلى **القديس مكاريوس بطريرك أورشليم** رسالة أثبتها بحروفها توادوريطوس في تاريخه (ك١ فصل ١٦) نلخّصها هنا قال:

﴿ أشكر اللّه على الآيات التي صنعها بإهدائه إليَّ صليبه الذي كان مخفيّاً تحت التراب منذ سنين متطاولة وقد انتقم لعبيده بإهلاك العدوّ لجميعهم وخوّلهم الحريّة في مباشرة فروض دينهم، فتلك نعمة لو اجتمع حكماء المعمورة بأسره في محلٍّ واحد وأجهدوا قرائحهم زماناً طويلاً لَما وَفوا جزءاً من حقّ أداء الشكر عليها ، فإنّها تفوق مدارك البَشر فووق الأمور السماويّة للأمور البشريّة ، ولذلك طالما فكّرت في أنّه كما أنّ اللّه يؤيّد الإيمان الصحيح بآيات متواترة ، فكذلك يلزمنا أن نجدَّ في رعاية سُنَّته المقدّسة والعمل بفروضه بإتفاق وبهجة ، وأرانَي ملتزماً أن أبذل قُصارى عنايتي في إجلال المحلّ المقدّس الذي جرى منه ينبوع خلاصنا ، وقد كان بسماح اللّه عَلَتْهُ أقذار الوثنيّة وعليه فيجدر بحكمتكم أن تبذل كلّ ما في الوسع لإعداد كلّ ما يكون لازماً لإنشاء كنيسة ملكيّة تفوق بجمالها وإتقانها وزُخْرُفها على كلّ ما بُنِيَ من المعابد في المعمور إلى اليوم وتكون أبدَع كنيسة تُبنى في المُدن ، ومأمولنا من قداستكم أن تبيّن لنا بعد محادثة مَن كانوا أهلاً لهذه الأمور كيف يلزم أن تكون الجدران والأعمدة وما هو الرخام اللازم ومن أين يُستأتي أجوده وعلى أيّة هيئة تبنى الكنيسة ، وكم يلزم من الذهب لزُخرُفها ، فإنّ هذا المعبد يقتضي أن لا يكون في العالم أبدع منه ، فَأسرِع بتعريفنا كلّ ما ذُكر ، وأدامَك اللّه سالماً أيّها الأخ العزيز﴾.

وقد عهد الملك قسطنطين بالنظارة على العمل إلى **دريشليانس الوالي** وبإدارة الفَعَلة إلى كاهن من القسطنطينيّة إسمه **أوستاط**، وبُدِيء في البناء **سنة ٣٢٦ ونجز في سنة ٣٣٥** ، وقد خلَّف لنا أوسابيوس (في ك ٣ في ترجمة قسطنطين فصل ٣٤ وما يليه) بيان هيئة هذه الكنيسة وملخّصه أنّه كان أمامها رواق قائم على أعمدة وتليه عَرَصَةٌ فسيحة ، والكنيسة ذات خمس حنايا ومدخلها من جهة المشرق لإقتضاء المحلّ ذلك وفي وسطه قبّة مستديرة مخيّمة على قبر المخلّص ، وتحت الحنية الجنوبيّة الجلجلة حيث ركزّ الصليب ، وتحت العَرَصَة معبد تحت الأرض في محلّ المغارة حيث وَجدَت خشبة الصليب ، وكل ذلك مُتقَن بغريب الصناعة ، مزدان بأثمن المعادن وبأفخر الرخام وأندَره ، والقبر في وسط الكنيسة مُحلًّى بأثمن الحلى ، وأنبأنا القديس كيرلّس بطريرك أورشليم (تعليم ١٤) الذي كان في ذلك القرن أنّ القبرَ كانَ منقوراً في صخر وعلى مدخله رواق إقتضى تزيين المحلّ نقضه كما اقتضى بناء المعبد على الجلجلة تمهيد الصخر المبني المعبد عليه ، وقد كُرِّست هذه الكنيسة الملكيّة **سنة ٣٣٥** ، واستدعى قسطنطين لتكريسها الأساقفة من كلّ صوب ، فَشهدَ هذه الحفلات جمٌّ غفير منهم ، وألوف من الكهنة وربوات من النّاس ؛ ويجدر بنا أن نستقري تاريخ هذه الكنيسة إلى اليوم : أنّ هذه **الدرّة اليتيمة في عقد جيد النصرانيّة** سحقتها ومحقتها يد حدثان الزمان **سنة ٦١٤** فإنّ كسرى الثاني ملك الفُرس حَمَلَ على أورشليم بجحفل جرّار تلك السنة فاحتلّها وأنهبها وأحرقها ودمرّ الكنيسة وأخذ ما كان فيها من خشبة الصليب ، على أنّ كسرى إغتاله إبنه بعد عوده من أورشليم ، **واستظهَرَ هرقل ملك القسطنطينيّة** على إبن كسرى ، وأرغمه أن يردّ عليه تلك الذخيرة بل الكنز الروحي الثمين ، فأعاده بإحتفاء عظيم إلى أورشليم **في الرابع عشر من شهر أيلول سنة ٦٢٩** ، وأقامَه في الكنيسة التي مودست مؤسّس الدير المعروف بدير ثيودوسيوس قد جدّد بناءَها وصيَّرَ مودست بعداً بطريركاً على أورشليم على أنّ هذا الراهب لم يكن له غنى قسطنطين ولا وسائله لإغناء الكنيسة وتحليَتها ، فلم يستَطع أنّ يردّها إلى رونقها وعظمتها السالفة ، بل اقتصَر على أن يبني هناك أربع كنائس صغيرة إحداها في جانب الأخرى يجمعها سورٌ وبينها عَرَصَة مُبلَّطة بالرخام وأولاها كنيسة القيامة وفيها القبر المقدّس ، والثانية كنيسة الجلجلة مبنيّة على محل الصليب والثالثة كنيسة خشبة الصليب أي حيثُ وُجدَت هذه الخشبة الكريمة ، وكان يسمّيها الحجّاج غالباً **مرتيريون** أي الشهادة على آلام المخلّص وموته ، والرابعة كنيسة العذراء لم يُعيّن محلّها بتوكيد ، ولكن قيل أنّها كانت مبنيّة على الصخرة التي دُهن عليها جسد المخلّص بالطيب ، ولم تكن جحافل كسرى محقَت أسس كنيسة الملك قسطنطين المعادل الرُسل ، بل بقي منها ما استعان به مودست على تجديد بنائها.

ἀγρυπνέω
أغريپنيّو agrypneo
يسهر، ساهر، سَهَر، حارس، إستمرّ بالمراقبة، عناية.

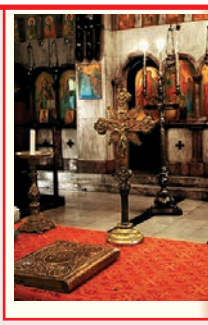

في اليونانية الكلاسيكيّة وفي العهد القديم ، يُقصَد بكلمة أغريپنيو: «**ظلّ صاحياً**»، وأن **يكون يقظاً** والإسم ***agrypnia*** **يعني إنعدام النوم** عادة مصحوباً بالأرق. وفي الترجمة السبعينيّة ، يرد الفعل ١١مرّة ، عادة بمعنى السَّهر أو السُهاد (أي٢١:٣٢ ، مز١٠١:٧ ، ١٢٦:١).

في العهد الجديد ضمن سياق حديثه الأخروي ، كلَّفَ يسوع تلاميذه لكي يكونوا في حالة **ترقّب وسَهَر** (مر١٣:٣٣ ؛ لو٢١:٣٦) يرد تنبيه مماثل في (أفسس٦:١٨).

في ذروة الحديث عن درع المسيحيّ: فالمؤمنون يجب أن يكونوا : «ساهرين ... بكل مواظبة وطلبة». لأنّ قوّات الشرّ الروحيّة تهدّد حياتهم الأخلاقيّة والروحيّة بإستمرار. وفي عبرانيين ١٣:١٧يحثُّ الكاتب على طاعة قيادة الكنيسة: «لأنّهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنّهم سوفَ يُعطونَ حساباً». ترد كلمة ***agrypnia*** في صيغة الجمع في رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٢كو٦:٥ ؛ ١١:٢٧). حيثُ تشير إلى «**مراقبة**» بولس و «**أسهاره**» التي تحمّلها من أجل الكنيسة.

الكلمات الخالدة

الأخلاق

للمرء مظهران مظهر ماديّ وهو الوجه ، ومظهر روحي وهو الأخلاق.

فالمظهر الماديّ أو الوجه قد يكون باشّاً طَلقاً ، وقد يكون عَبوساً قبيحاً . فثانيهما يمكن ستره بوجه مُستعار يَغطّي عبوسته فيصير باشّاً محبوباً ، ولكن بأيّ وجه نغطّي المظهر الروحيّ ، وهل ثمَّ شيء يستر الأخلاق إلاّ تدميثها وتعويدها الحسن ، وبناء على هذا يكون الإنسان إبن الأخلاق ولا يكون الإنسان إنساناً إلاّ بأخلاقه الفاضلة.

وكما أنّ مظهر الفرد هو أخلاقه ، فمظهر الأمّة هو أخلاقها أيضاً لأنّ الأمّة هي المجتمع.

فالأخلاقيّون مثلاً يحكمون على أُمّـة بالخفّـة والطيش لأنّهم يرون في السواد الأعظم من أبنائها ميلاً إلى التيه والدلال والنزق. ويحكمون على أُمّـة أخرى بالرزانة والثبات لما يرونه في أبنائها من الدِعة والهدوء مع العمل. فأخلاق أُمّـة هو عنوانها.

يقول كثيرون إن قدر الإنسان موقوف على مبلغ علمه. هذا قول حسن. ولكن هب أنّ إنساناً واسع الإطّلاع طويل البّاع في صدره دفائن علم إلاّ أنّه ساقط الأخلاق والمبدأ. أينفع الإنسانيّة شخص كهذا ؟ وهل نعدّه إنساناً بكل معنى الكلمة التي تدور في خلدنا. نقول هذا بوجه عام فإنّ لكلّ قاعدة شوارد وشذوذاً. وممّا أبانته قرائن الأحوال وكرور الأزمان أنّ النفس الفاضلة المترفّعة عن الدنايا هي بنت الأخلاق الكريمة الراقية وتعرف بحُسن سير صاحبها وبقويم مبدأه. فإسداء المعروف وإغاثة الملهوف ثمرة من ثمار النفس الفاضلة وبناءً على هذا أقول أن الإنسان الذي يذّخر علماً في صدره ويكون مُجَرّداً عن الأخلاق الفاضلة تكون نفسه سَاقطة وقَلّما تنفع ، بل تقتل صاحبها بخيلائها وإنتفاخها باطلاً.

نرى كثيرين من الذين تقلّدوا مناصب عالية وملأوا فراغاً واسعاً في دائرة المجتمع الإنسانيّ يأدّون أعمالاً شائنة يترفّع عنها الذين نضجت أخلاقهم الحسنة القويمة ونهضت بهم نفوسهم إلى الترفّع عما يشين السمعة والصيت. لو نظر أولئك إلى أعمالهم لأشاحوا بوجوههم خزياً واستيحاء.

فالأخلاق الرضيّة أفضل من العلم بل هي ترفع صاحبها عن إرتكاب الدَنايا ، وتُنهضه إلى طلب الكَمال. فالواجب إذاً على كلّ أُمّـة أن تعني أولاً بالتربية الصحيحة ، ونعني بهذه التربية غَرس الأخلاق الفاضلة في أبنائها ، فمتى غرست وجاءت التربية العلميّة بعدها وجدت تُربة صالحة لأن تنمو فيها وتثمر ثمراً شهيّـاً.

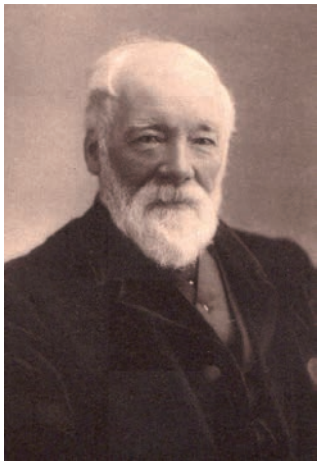

« الآداب والأخلاق أهمّ من الشرائع ، لأنّ الشرائع لا تتبعنا دائماً ، أمّا الآداب والأخلاق فمعنا في كلّ حين »

(صموئيل صميلز)

وخير تربية للأولاد يجب أن تكون في دوريّ الصغَر والصبا ، وذلك قبل أن تتسرّب إلى النفس عوامل الفَساد من: **نَزق وطيَش وإندفاع الأهواء المُضرّة** لأنّها إذا لم تتعوّد الأخلاق الفاضلة ، وتشبّ عليها في ذينك الدورين ، إستعصَت ولم تَعُد قابلة للتثقيف والترويض.

فالنفس في زمن الطفوليّة والصبوة تكون صفحة بيضاء تنطبع عليه الرسوم ، وقد شبّهوها بالصفحة التي يرسم عليها المصوّر الرسوم ، فله أن يرسم عليها صورة **شيطان رجيم** ، أو **ملك كريم**. أو كقطعة شمع لَدن يحوّلها الصانع إلى تمثال للطُهر والعَفاف ، أو إلى تمثال قبيح لا تَريد العين أن تراه.

فنفس الصبيّ مَرنة ليّنة يستطيع الوالد والمعلّم أن يرسما عليها ما يشاءان. ومن أقدس الأمور وأشدّها لزوماً غرس بذور الأخلاق الفاضلة فيها منذ الطفوليّة إلى حين الخروج من مدرسة التعليم إلى مدرسة العالم.

على أنّ تربية الأخلاق لا تكون بالإرشاد وحده بل بالإرشاد المقرون بالمثل الصالح ، ومعنى ذلك أنّ الوالد أو المعلّم يجب أن يرشد الصبيّ بالوعظ والتعليم ، وأن يكون هو في ذلك الحين مثالاً لإبنه أو تلميذه في أخلاقه الكريمه ـ الوالد في بيته والمعلّم في مدرسته.

يرى علماء الأخلاق أن للمعاشرة والمخالطة تأثيراً عظيماً في الأخلاق من حيث الإقتداء ، فالواجب على الوالد أن لا يترك لإبنه **الحبل على الغارب** لا يعلم أين يذهب بكرة وأصيلا ، ولا كيف يقضي أوقات فراغه. لأنّه إذا تركه على هذه الحال عاشَرَ قرناء السوء الذين يفسدون أخلاقه.

يقول بعض الوالدين أنّه غير مُطالب بمراقبة أخلاق إبنه وسيره مادام قائماً بنفقة تعليمه في المدارس. وهذا قول فاسد ووهمٌ باطل ، لأنّ الوالد مسؤول عن سير إبنه **أمام اللّه ونفسه وأمّتـه** ، إذ المدرسة لا يُطلَب منها أن تقيم حُرّاساً على التلاميذ وهم في خارجها فحراسة الطالب ومراقبة سيره في خارج المدرسة مُلقاةٌ على عاتق والده.

لو سألنا واحداً من الذين درسوا أدوار إرتقاء الأمم وإنحطاطها: ما الذي تحتاج إليه الأُمّـة الضعيفة لكي تصير أُمّـة راقية لها مقام

رفيع بين سائر الأمم ، لأجاب فوراً: **ربّوا أبناءها على الأخلاق القويمة ، هذّبوهم وثقّفوا عقولهم بالعلوم**. وعلمٌ بلا أخلاق كريمة لايفيد النفس شيئاً كالبناء الضعيف إذا هَبّت عليه الإعصار هوى على أصحابه.

فعلى والديّ الأطفال أن يربّوا أولادهم على الأخلاق القويمة ، وعلى الشبّان أن يسعوا جهدهم لتكون سيرتهم محمودة وأخلاقهم كريمة وآدابهم سامية راقية ، فهذان الأمران يُنهضان بالأُمّـة إلى الإرتقـاء وبالبلاد إلى الإسعاد. وليس ثَمَّ سلاح لنا أمضى وأمتن من سلاح الأخلاق الفاضلة.

ولو شئنا لعدّدنا كثيراً من أقوال فلاسفة العمران وعلماء الأخلاق على صحّة هذا المبدأ الذي نحن بصدده. ونكتفي بما قالته **جريدة التيّمس اللندنيّة** في بحث أخلاقيّ وهو:

THE TIMES

22 | News

Pub culture

When your local has praises like this to sing, who needs a juke box?

«إنّ الذي يرفع البلاد ويقوّيها ويُعَظّمها ويمدّ سطوتها الماديّـة والأدبيّـة ويجعلها محترمة مُطاعة ويُخضَع لها أُمَماً وممالك هو: الأدب مبدأ الطاعة وأساس العظمة وتاج الرئاسة وعرش السلطة وصولجان القوّة» .

فلا ينسَ أحدٌ ذلك ولا تنسَ أيّها الوالد أن تسهر على أخلاق إبنك إذا أردت الخير له ولكَ ولبلادك.

April شهر نيسان

هو إسم لشهر نيسان بالإفرنجيّة ،وربّما عمّ فيما بعد إستعمال الأشهر بالإفرنجيّة عند أهل الشرق عامّةً ، وهو الشهر الرابع من السنة المسيحيّة وأيامه ٣٠ يوماً ، وكان الشهرالثاني من السنة الرومانيّة وكانت أيّامه ٢٩ يوماً فأضاف إليه يوليوس قيصر يوماً ، وكان يدعى في أيام نيرون قيصر **نيرونيوس** ، ويظن قومٌ أنّ إسمه الإفرجي مأخوذ من لفظة **أبريري** ، ومعناها **فَتَحَ** ، سُمّيَ بذلك لأنّ الزهور تتفتّح فيه ، وقد دعاه شارلمان في رزنامته الجديدة شهر الحشيش ـ ومن المعروف تاريخياً دور شارلمان السلبي ضدّ الإيمان الرومي الأرثوذكسي الذي كان في غرب أوربا ، واستبدال الإيمان الحقيقي المُعلن من السماء ، بمفاهيم غربيّة دخيلة ـ ولا يزال الدانيماركيون يسمّونه بهذا الإسم، ويرمز عنه على الآثار القديمة بشابّ يرقص وبيده جرس. واليوم الأوّل من هذا الشهر يُسَمّى باللغة الإنكليزيّة بما ترجمته **بيوم أحمق أبريل (April fool's day)** ، ولكن عادة إرسال بعض أشخاص بإرساليات فارغة والضحك عليهم هي جارية في كل بلاد أوروبا وقد امتدّت إلى أمريكا وبعض أماكن من الشرق ، حيثُ تسمّى عندنا كذبة أوّل نيسان، ويسمي الفرنسيون مَن يُصطاد بهذه الحيلة بما معناه **سمك أبريل** ، يريدون بذلك أنّه يسهل صيدهُ ويسمّونه في إسكوتلندا بالكوكو وهو طائر يسهل قنصه. وقيل هي تذكار لأرسال المسيح من هيرودوس ألى بيلاطس إلى قيافا ، وبه كذبة التهمة الموّجهة إلى السيّد المسيح.

عن دائرة المعارف - المعلم بطرس البستاني

إيبتانوميذة Heptanomide

كلمتان يونانيّتان معناهما المقاطعات السبع . وهو إسم كان يُطلق في القديم على مصر الوسطى. أي على المقاطعات السبع الواقعة في أواسط بلاد مصر وهي بين الصعيد والبحيرة، وهذه المقاطعات المذكورة:

١) منفيس ٢) كروكو ذيلوبوليتس
هرقليوبوليتس ٤) إفروذيتوبوليتس
٥) إكسي نشيتس ٦) كينوبوليتس
٧) هرموبوليتس. وعاصمتها مدينة منفيس . وفي أيام تولّي الرومان على مصر أضيفَت إليها مقاطعات ثلاث وهي: أنطينوئيتس، والواحة الكبرى، والواحة الصغرى. وكانوا يضيفون أحياناً إليها غيرها مما كان غالباً يتبع الصعيد كليكوبوليتس وأفروذيتوبوليتس وهي غير الأولى وبانوبوليتس وغرها، هذا يوضح إنتشار الثقافة اليونانيّة في الشرق نتيجة فتوحات **الإسكندر الكبير**.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٣٠)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة :

الخروج من مصر:

«ويكون لكم **الدمّ** علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى **الدمّ** وأعبر عنكُمُ .. ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيّدونه عيداً للربّ ، في أجيالكم تعيّدونه فريضة أبديّة» (خر١٢:١٣-١٤).

كانت مراسيم خروف الفصح هي الفريضة التي تمّت بها نجاة الإسرائيليين ، وكان **الدمّ** علامة لخلاصهم ، وظلّ الشعب يحفظ عيد الفصح طوال تاريخ إسرائيل عدا فترات السبيّ والتشتّت ، ومازال اليهود يتذكّرون هذا العيد حتى أيامنا ويحتفلون به وإن كانوا يمارسونه بطريقة أخرى.

والفصح هو مفتاح العهد القديم ، وفي الإحتفال به يؤكّد الآباء لأبنائهم على قصّة الخروج من مصرَ والعُتق من العبوديّة تأكيداً للفصح الحقيقيّ (١كو٥:٧) ، وإذا تأمّلنا في فترة إغتراب إسرائيل في مصرَ نجد أنّ بها نتائج هامّة سواء من الناحية الإيجابيّة التي أفادت الشعب ، أو من الناحية السلبيّة التي أضرّت بسلوكيّاته، والنتائج التي حقّقتها العبوديّة بالرغم من مرارتها وقسوتها كانت ذات أثر مباشر إذ ولدت لإسرائيل أمّـة ، فإنّهم دخلوا مصرَ وهم آتين من كنعان إثنتا عشرة عشيرة لا تتعدّى الألفين ، وخرجوا من مصرَ ست مئة ألف رجل أي أنّ الشعب بجملته بما فيه من النساء والأطفال لا يقل عن المليونين ، فلو أنّهم إستمرّوا يعيشون في كنعان ولم يذهبوا إلى مصرَ فمن المؤكّد أنّهم كانوا سيتشتّتون إلى إثنتي عشرة قبيلة متجوّلة ، أما إقامتهم في تلك الأرض المزدحمة بالسكّان مع عزلتهم وحدهم في أرض جاسان قد ساعدت على تحوّلهم إلى أُمّـة ، ومن النتائج الهامّـة لتغرّبهم تلك الحضارة الزّاهرة التي كانوا يُعايشونها في مصرَ ، فنُقِلَت إليهم الحضارة والثقافة والتي إستفادوا منها جداً وظهرَت فيما بعد في إقامة خيمة الإجتماع ، ففي مدنيّة مصرَ تعلّموا الفنون والزخارف والكتابة بعد أن كانوا يحيون حياة القبائل البسيطة ، لكن ليس من شكّ أنّـه أصابهم بعض الضرر من جراء تسرّب أفكار وعادات مصريّة إلى الشعب ، فقد تأثّرت إقامـة إسرائيل في مصرَ بالمصريين وخاصّة عبادة المصريين ، وهذا التأثير السيء يحتاج سنوات ليمحو تأثيره ، ولكي يكون الشعب نقيّاً عليه أن يجتاز فترة طويلة لإعداده في البريّة حتى يتطهّر بما تسرّب إليه من الوثنيين والتي أشار إليها يشوع بن نون «إنزعوا الآلهة الذين عبدَهُم أباؤكم في مصرَ» (يش٢٤:١٤).

طريق الخروج :

« فدعا فرعون موسى وهرون ليلاً ، وقال قوموا أخرجوا من بين شعبي..» (خر١٢:٣١) ، بعد أن حلّت الضربة العظيمة من الملاك المُهلك على المصريين ، سمح فرعون للشعب أن يخرج من مصرَ ، وبسبَب الآلام والأحزان التي حلّت بالمصريين ألحّوا على الشعب أن يخرجوا خوفاً على حياتهم ، وانتهز بنو إسرائيل فرصة ضعف نفوس المصريين وهلعهم فطلبوا منهم ثياباً وفضّة وذهباً حتى سلبوا المصريين.

حلى من الذهب والأحجار الكريمة والفضّة من مصر القديمة (خر١٢:٣٥)

وارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس مكان إقامتهم في جاسان بأرض مصر ، ولم ينسوا أن يحملوا معهم عظام يوسف جدّهم العظيم (خر١٣:١٩). ولكن أي مكان يتوجّهون إليه؟! وأي طريق يسلكونه؟!

لقد كان أمامهم طريقان: أولهما طريق السهل الساحلي أو ما يسمّى بطريق البحر ، وهو طريق سهل ومباشر إذ يسير بحذاء ساحل البحر الكبير (البحر المتوسّط) ويمتد من مصر إلى لبنان وسوريا ماراً بفلسطين.

وطريق القوافل وهو وإن كان أطوَل في رحلته عن السّابق وأكثر صعوبة بسبب مروره في الصحراء ، لكنّه طريق مطروق تعوّدت عليه القبائل الآتية من بلاد الإسماعيليين للسير فيه.

ولكن لم يكن هذان الطريقان ملائمين لرحلة الشعب فإنّ موسى لم يتّخذ طريق الساحل وهو يعلم أنّه إذا سار فيه الشعب لما إستغرقوا وقتاً طويلاً ، ولكن بسبب خوفهم أن يطاردهم فرعون وخاصّة أنّه طريق يسلكه جيش مصرَ مراراً ، وبه حاميات عسكريّة مصريّة تحرس الطريق ، كما أنّهم لم يكونوا في إستعداد لملاقاة قوى الفلسطينيين والذين كانوا يستولون على الساحل ويسيطرون على منافذ الطُرق ، أما طريق القوافل وإن كان فيه يأمنون من الفلسطينيين ، لكنّهم بسبب ضعفهم وارتخاء نفوسهم في الرحلة كان من السهل إرتدادهم وعودتهم إلى مصرَ. لذلك أمرهم اللّه أن يتّجهوا إلى سيناء (خر١٣:١٧).

يتبع

تذكار القديس يوحنا الروسي ، ٥/٢٧ ش - ٢٠١١/٦/٩ غ

القديس يوحنا الروسي الصانع العجائب

المبنى لكِ وهي من عجائب القديس يوحنا الروسي المميّزة

رفات القديس يوحنا الروسي

وُلِدَ القديس يوحنا الروسيّ في روسيا سنة ١٦٩٠ . أسرَ في الحرب الروسيّة التركيّة سنة ١٧١١ ؛ بيعَ كعبد لرئيس الفرسان في بلدة بروكوبيو ، نال من الإضطهاد والعذابات والضربَ ألواناً. حافَظَ على إيمانه الأرثوذكسي. إنتقل وله من العمر ٤٠ عاماً. بقي جسده بدون فساد. نُقِلَ إلى بروكوبي في إيڤيا باليونان. وهو مسجّى في الكنيسة التي تحمل اسمه.

طروبارية القدّيس يوحنا الروسي : إنّ الذي دعاك من الأرض إلى المساكن السماويّة ، حفظ جسَدَك بعد الموت سالماً أيها المغبوط ، لأنّك ، يا يوحنا ، وأنت مأسورٌ في آسيا ، حافظت على محبّتك للمسيح ، فإليه تضرّع أن يخلّص نفوسنا.

جمعها الأب يوحنا فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي - إيڤيا

إن السيدة آريتي وإبنتها الوحيدة كَرَيْسا لم تستطيعا أن تشفيا من موت الزوج والوالد المبكر، عندما وجدتا نفسيهما مضطرتين أن تواجها الجوع الشديد والاستغلال الإنساني. فإن إخوة الميت الثلاثة تقدموا بدعوى أمام قاضي محكمة أثينا تختصّ بملكية قيمتها العديد من ملايين الدراخمات في وسط أثينا ورثتها السيدة آريتي من زوجها. وكان الأخوة الثلاثة قد أخذوا حصصهم من الميراث، ولكنهم كانوا يعرفون أن بعض الأمور القانونية كانت ما تزال عالقة، ففكروا بأن يستفيدوا من هذه الحالة ومن موت أخيهم وجاؤوا بمقتضى ذلك بتكليف أمام المحكمة. وأبرمَت القضية ومنحت المحكمة البناء للإخوة. **وقد أيقنت الأم وابنتها بأنهما يعيشان في غابة حيث القوي يأكل الضعيف**. وبما أنهما لا يملكان أية ملكية أخرى فقد قرّرتا أن ترفعا دعوى ضد القرار مستخدمتين كل المال الذي كانتا تملكانه في المصرف. لقد كان البناء من حقهما لإن زوج السيد آريتي لم يبنيه فقط من عرق جبينه بل كان ضمان مستقبلهما. ورفعتا دعوتهما إلى المحكمة الابتدائية ولكنهما خسرتا من جديد. ثم أخذتا الدعوى إلى محكمة الإستئناف وأيضاً كان قرار تلك المحكمة ضدّهما. فلم يعد لديهما الخيار إلاّ أن تلتجئا إلى المحكمة العليا في اليونان، محكمة الإستئناف الأعلى.

وفي ليل الثلاثاء كانت الأم والإبنة تفكران بكل صعوباتهما الحالية وبمستقبلهما غير الأكيد. وبعد ثلاث محاكمات مضادّة لم تستطيعا أن تريا شعاع نور أو أن تؤمنا بأن صباح الغد سيجلب لهما العدالة. فقد كان قلباهما مثقلين بسلوك أقربائهما الإجرامي وبطريقة تعاملهم فلم تستطيعا أن تبقيا صامتتين. وأكثر من ذلك، فإن محاميهما كان مسافراً لدعوى غير منتظرة.

وحوالي الساعة الثانية والنصف صباحاً ذهبتا إلى الفراش وأعصابهما متوترة. وفي حلم، تصورت السيدة آريتي نفسها بحالة جامحة كلياً وبأنها كانت تتوعد أخت زوجها. ثم شاهدت شاباً لا تعرفه يقترب منها بوجه سلامي. فهدّأها وقال لها: «إن البناء هو لك. لقد سويتُ المسألة. فعندما تكونين في خطر تطلبين مساعدة اللهَ ومساعدة قديسيه. **أنا يوحنا الروسي**. إذهبي إلى المحكمة في الغد».

واستيقظت السيدة آريتي. لم يعد بإمكانها أو بإمكان ابنتها أن تناما أكثر لأنهما كانتا تشعران بأنهما **وحيدتين، مظلومتين، مكروبتين** ولكن صلّتا على رجاء. وفي صباح الغد كان المحامي الذي عاد خصيصاً من أجل القضية يعطيهما النصيحة في الرواق خارج قاعة المحكمة قائلاً لهما بأن تبقيا شجاعتين وتلزما الهدوء ورباطة الجأش. ولكن كيف استطاع أن يعرف الأمل السرّي الذي كانتا تختزنانه في قلبيهما؟ أتى قرار المحكمة العليا بأن البناء هو خاصة أرملة المتوفي وابنته «**قانونياً وبكامله**».

عندما جاءت المرأتان إلى كنيسة القديس يوحنا قالتا لي: «أبت! نحن لا نعرف **القديس يوحنا** قبلاً. نحن نصلّي ولدينا أب روحي ونتناول الأسرار المقدسة ولكننا لم نأتي إلى هنا أبداً ولا صلينا إلى **القديس يوحنا** أبداً. كيف يحصل يا أبت أن القديسين يعرفون عنا ويتحركون بيننا ويدركون اهتماماتنا؟» ، فعجيبٌ اللّٰه في قديسيه «لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك» (لو٤: ١٠).